بين "شـريعة الرحمـن" و "شـرعية الشـيطان"

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين, سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ ثم أما بعد‘

فهذه مجموعة مـن الخـواطر الـتي طـاردتني لأيـام وليـالي، فأطـالت سـهادي وأنهكـت فؤادي؛ حتى كاد يتوقف عن الخفقـان، والـدّم فـي العـروق عـن السـريان، وشـحب الـوجه فغارت فيه العينان، ونتأت منه العظام، حتى يظن الرائي أني سقيم وما بي من سقام!

والسبب في ذلك الحالة المزرية التي ظهرت عليها الأمـة الإسـلامية قبـل وبعـد الاحتلال العسـكري الأمريكـي الغاشـم للعـراق, وموقـف كـثير مـن العلمـاء الـذين يزعمـون أنهـم معتدلون.

وارتفاع أصوات كثيرة في دول عديدة بشجب الفكر الجهـادي والعمليـات الاستشـهادية‘ وتنادي بحتمية اللجوء إلى الطرق السلمية عـبر تطـبيق الديمقراطيـة والانصـياع للشـرعية الدولية, ويقصدون بها المنظمات الدولية وما تريده الولايات المتحدة الأمريكية, وما يريـده الغرب المتحضر -كما يصورونه-.

ولهذا نقول: "إنه رغم تقديرنا الشديد للعلماء والقادة المشاركين في الانتخابات فـي أي مكـان كـان, أو الـذين يفتـون بجـواز الاشـتراك فيهـا وتشـكيل أحـزاب سياسـية علـى هـذا الأساس, رغم تقديرنا لعلمهم واعترافنا بجهودهم لعقود من الزمان في خدمـة هـذا الـدين, إلا أن ذلـك لا يمنعنـا أن نخـالفهم الـرأي فيمـا نظـن أنهـم قـد اجتهـدوا فأخطـأوا فيـه فهـم مأجورون على أي حال, وقدر الله ألا يكمل من البشر إلا من شاء سبحانه وعصم".

وهذه ليست دعوة للتهجـم علـى جماعـة مـن الجماعـات, أو دعايـة لمبـادئ حـزب مـن الأحزاب المسلمة, وإنما هي مني لترشيد العمل لخدمة هذا الدين, والدعوة لتجنب المآخـذ والثغرات التي تحسب على الإسلام نفسه وليس على الجماعات الـتي تعمـل لـه. ووجـوب إيجاد نوع من التعاون المشترك وأرضية واحدة نعمل من خلالها كلُ على طريقته, في إطار من المودة القلبية والإخوة الإيمانية لأننا أحوج ما نكون للوحدة وتـأليف القلـوب فقـد رمانـا العـدو عـن قـوس واحـدة, واللـه سـبحانه وتعـالى يقـول: "وقـاتلوا المشـركين كآفـةً كمـا يقاتلونكم كآفةً" –التوبة 36-.

<u>والرجاء ممن يشرع في قراءة هذه السطور ألا يعجل في الحكم عليها, فمهما كان فيهـا من رأي مخالف أو إحساس بنقد جارح, فهـي نصـيحة مـن أخ يبغـي الخيـر؛ فمـا كـان منهـا خالصاً لوجه الله موافقاً للصواب أخذنا به ونشرناه بأي طريقة مسموعة أو مرئية.</u>

<u>وما كان منافياً للشرع الحكيم, مجافياً للعقل السليم والفكر القـويم -وذلـك بعيـداً عـن الهوى في الحكم عليها- تركناه وأهملناه, فكلنا يؤخذ منـه ويـرد إلا رسـولنا الإمـام الأعظـم صلى الله عليه وسلم, والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.</u>

قد يقول قائل: "ما عساها تفعل كلماتك هذه وهي تخالف رأي عشرات الملايين ولن يعيروها أدنى اهتمام لو سمعوها؟! وماذا عساه يبلغ صوتك مهما هتفت وبلغت؟!" فأقول له: "معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون" وأنا عليَ البيان, والله المستعان في البلاغ.

ولقد أثبتت الأحداث الساخنة والمتسارعة في الغزو الصليبي للعراق, ومواقف الجانبين: الصليبي والمسلم, خاصةً ممن يحسبون على الإسلام من دول وجماعات, أثبتت صحة ما خلصنا إليه في نهاية هذه السطور, لأن ذلك جاء نتيجة استقراءٍ متأنٍ للمعطيات والحقائق.

فهل أغنت الشرعية الدولية والالتزام بالديمقراطية في التعبير عن الرفض للنوايا الصليبية المفضوحة في احتلال العراق, هل أغنت عن الشعب العراقي شيئاً؟!

وهل أفادت ردود الأفعال الدعائية المهينة من قبل القادة والزعماء رؤساء الدول, والتنظيمات والأحزاب الإسلامية الرسمية شيئاً؟

وهل منعت المظاهرات الحاشدة في جميع أنحاء العالم الاحتلال الأمريكي البريطاني الصليبي للعراق؟

ولماذا تغير الموقف الأمريكي المتغطرس الرافض لأي دور للأمم المتحدة ومجلس الأمن المزعوم, إلى استجداء دول العالم لإرسال قوات للمساعدة في حفظ الأمن في العراق, وتقديم الدعم المادي المساند لهذه الحملة الشرسة على الإسلام بدعوى إعادة إعمار العراق؟

هل تم ذلك بسبب تحرك سياسي عبر القنوات الديمقراطية, أو خوف من الرأي العام العالمي والتزام بالشرعية الدولية المزعومة؛ أم بسبب المقاومة الباسلة لأهل السنة من العراقيين وأنصارهم من الشباب المسلم الذي استطاع التسلل إلى العراق قبل وبعد دخول القوات الصليبية إلى العراق؟

ولنا أن نتساءل بهذه المناسبة عن الذين حشروا الناس بعشرات الآلاف في مسيرات كانت تدّعي نصرة الشعب العراقي والرغبة في الجهاد ضد المعتدي الصليبي هناك:- لماذا خرست ألسنتهم فما عادوا يتكلمون بما أَوْجَعوا به رؤوسنا في تلك الأيام والقضية ساخنة والعالم الإسلامي يغلي؟!

- وما لهم تواروا في بيوتهم ومكاتبهم وحوانيتهم؟! فهل انسحبت القوات الصليبية من العراق وتم دفع التعويضات المستحقة للشعب العراقي نتيجة الدمار الشامل الذي سببه الغزو الصليبي الحاقد للبنية الأساسية وكل مقومات الحياة مما يقدره الخبراء بعشرات المليارات من الدولارات, وكذلك التعويضات لأسر القتلى والجرحى والذين يقدرون بعشرات الآلاف الذين قتلوا في القصف الأمريكي للمدن والمنشآت العراقية أو نتيجة الحصار الظالم الذي فرض على الشعب العراقي لمدة اثنتي عشرة سنة؟

- أم أنهم فعلوا ذلك لتحقيق مكاسب سياسية وإثبات قوتهم ووجودهم على الساحة؟

- أم كان استحياء من أنصارهم وأتباعهم؟

- أم هي المتاجرة بقضايا المسلمين ودغدغة العواطف المتأججة في النفوس الغيورة على دين الله وحرمات المسلمين وأراضيهم؟!

وختاماً ... اسأل الله عزّ وجلّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفق المسلمين لفقه كتابه وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يعملوا بهما, وأن يوحِّد صفوفهم ويجمع كلمتهم من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة, وأن يمكّن للمخلصين من عباده المجاهدين في سبيل إعلاء كلمته,

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تنويه:-

جزى الله خيراً كل من ساهم في نشر هذه الرسالة أو ما شاء من أجزائها, أو اقتبس منها من أسئلة وأمثلة, فليس لدي حقوق طبع ولا نشر ولا تأليف, والجميع في حلٍ.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الباب الأول
قبس من نور النبوة

عندما خلق الله آدم عليه السلام وذريته حدد لهم هدفاً ومهمةً, ألا وهي خلافة الله في الأرض, وتنفيذ إرادته في عمارة الكون وسياسته, وعبادته سبحانه لا شريك له.

وأرسل الله الرسل لهدايتهم وتوجيههم كلما انحرفوا عن الجادة وضلوا السبيل لتحقيق هذه الغاية, بعد أن أخذ منهم العهد والميثاق وهم في صلب آدم أن يفردوه بالعبادة والطاعة, قال تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني~ آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين). وقال عز من قائل: (كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه, وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جآءتهم البينات بغياً بينهم, فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه, والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) – البقرة 213-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيئ أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم, فيقول الله: أردت منك ما هو أهون من ذلك, قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً, فأبيت إلا أن تشرك" –متفق عليه-.

فمن أطاع هؤلاء الرسل واهتدى بهديهم وسلك طريقهم فهو المؤمن الذي يسعد في الدنيا والآخرة. وأما من نأى بنفسه عن الإيمان, ونهى غيره, وأراد أن يقف عقبة في طريق المرسلين وأتباعهم حتى لا يبلِّغوا رسالة ربهم ويُخْرِجوا الناس من الظلمات إلى النور فلا

مناص من ضرب البنان (حتى يكـون الـدين كلـه للـه)؛ فلا شـريك فـي الربوبيـة ولا الإلهيـة, فالعبادة لله والحكم للـه: (قـل إنَّ صـلاتي ونسـكي ومحيـاي ومماـتي للـه رب العـالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين). (إنْ الحكم إلا لله أمـر ألا تعبـدوا إلا إيـاه ذلـك الدين القيم ولكن أكثر النّاس لا يعلمون).

هذه المهمة الثقيلة الـتي أبـت السـموات والأرض والجبـال أن يحملنهـا وأشـفقن منهـا, وحملها الإنسان بضعفه البشري الفطري ووجود الشيطان يتربص بـه ليـورده المهالـك, لـم يتركه الله سبحانه وتعالى برحمته وفضـله يواجهها وحـده, رغـم أنـه وهبـه العقـل المفكـر وحرية الإرادة؛ بل حدد له الأصول والقواعد العامـة الـتي يجـب الالـتزام بهـا فـي أي زمـان ومكان, ولأي قوم من الأقوام, حـتى لا ينسـاق وراء الشـهوات والأهـواء الشخصـية فيَضِـلَ ويُضِلَ, وقد قال لرسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم: (فـاحكم بينهـم بمـآ أنـزل اللـه ولا تتبـع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض مآ أنزل الله إليك) –المائدة 49-.

روي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن بعض علماء اليهود قـالوا: "يامحمـد نحـن أحبـار اليهود, ولو اتبعناك لاتبعك اليهود كلهم, وإن بيننا وبين أناسٍ من قومنـا خصـومةً, ونريـد أن نتحاكم إليك, فإن قضيت لنا أعلنّا صدقك. فلم يقبـل صـلى اللـه عليـه وسـلم. فـأنزل اللـه فيهم ذلك إقراراً له على ما فعل".

ولقد انتقلت البشرية عبر تاريخها الطويل من لـدن آدم عليـه السـلام إلـى الآن بمراحـل مختلفة بين البدائيـة فـي التفكيـر والسـلوك, والبسـاطة فـي الـتركيب الاجتمـاعي ونظـام الحكم, ثم قرون وسطى زادت فيها درجة التعقيد فـي شـكل المجتمعـات والعلاقـات فيمـا بينها, وزادت حدة الصراع بين الحق والباطل, بعد أن تطورت الأسلحة والأنظمة العسكرية والسياسية, حتى وصلنا إلى العصر الحاضر حيث تشابكت المصالح وازدادت درجـة التقـدم العلمي والاقتصـادي, وطمـع القـوي فـي الضـعيف فكـانت الامبراطوريـات العظمـى الـتي سيطرت على مشارق الأرض ومغاربهـا, ثـم تلاشـت تلـك الامبراطوريـات نتيجـة الحـروب الطاحنة التي دخلت فيها خلال الصراع الدامي علـى منـاطق النفـوذ, وقيـام اليهـود بتأجيـج الثورات في أوروبا لاستبدال تلك الامبراطوريات والملكيات بأنظمة حكم تحقـق مصـالحهم وهدفهم في السيطرة على النظام العالمي عن طريق السياسة والمال والنساء, وأنشاؤوا الكتل والتحالفات السياسية والعسكرية بدلاً من الامبراطوريات الفردية, وذلك في مرحلـة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ونتيجة لسقوط المسـلمين الحضـاري واتسـاع رقعـة أراضـيهم ومـا تحـويه مـن ثـروات طبيعيـة وبشـرية تـداعت الأمـم علـى قصـعتهم فجزّأتهـا ومزّقتهـا, دولاً وأقـاليم, والدولـة الواحدة شيعاً وأحزاباً.

وانتقل إلينا الجـانب السـيىء مـن الأفكـار والمعتقـدات الغربيـة مـع قليـل مـن الحُسْـن المزيف لتضليل الشعوب, وإظهار أنهم لا يريدون لنا إلا الخير.

وسياسياً: انتقلت إلينا نظم الحكم التي صدّرتها إلينا الدول التي هيمنت علينا أو ارتبطنا بها بارتباطات سياسية وعسكرية؛ فرأينا في بلاد المسلمين أنظمة حكم: شيوعية ورأسمالية, وعلمانية, وديكتاتورية, وأخرى قومية شعوبية, وانقسم العالم الإسلامي أيام الحرب الباردة إلى معسكرين إما معسكر شرقي موالي للاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية, وإما غربي موالي للولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي.

ثم لما انهار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية انفردت الولايات المتحدة بالقيادة وأصبحت جميع الدول الإسلامية تدور في فلكها؛ إما بشكل مباشر, وإما بشكل غير مباشر عبر وسطاء, وادعاءات بالتحرر من التبعية لها.

والآن مطلوب من جميع دول المسلمين بحكم الاستضعاف أن تطبق جميع النظم الغربية في السياسة والاقتصاد والحكم, خاصة تطبيق ما يسمونها "الديمقراطية" بالشكل الذي سنبينه في الصفحات التالية, بصورة يبدو ذلك النظام وكأنه دين قديم بالنسبة للغرب النصراني الملحد, جديد بالنسبة للشرق المسلم وبقية الدول النامية -التي يدّعون-, وهي لا تخرج عن إطار فرض الهيمنة الأمريكية اليهودية على الكرة الأرضية عامةً, والمسلمين خاصةً, تحت عباءة ما يسمى بـ"الشرعية الدولية".

وقبل أن نتكلم عن تلك الشرعية الشيطانية, نقتبس شيئاً من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون لنا درعاً واقياً من تسرب شيء من هذه النُّرهات إلى نفوسنا, وندرك عظمة ما نحن عليه, وحقارة ما يدعوننا إليه.

لقد كان المجتمع المكي الذي هبط فيه الوحي لأول مرة على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يتسنم قيادة الجزيرة العربية لوجود بيت الله الحرام فيه, وبصفته معقل عبادة الأصنام والأوثان التي تدين بها القبائل العربية المنتشرة في جميع أنحاء الجزيرة.

ورغم شراسة المعركة وخطورة الوضع على الحركة الإسلامية الوليدة التي بدأت قريش تناصبها العداء منذ لحظة ولادتها, فإن الله قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصدع بكلمة الحق ويعلنها مدوية بينهم: (قل يآأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون, ولآ أنتم عابدون مآ أعبد), وحذره من اختيار الطريق الأقصر والأسهل والأحب إلى نفس الرسول صلى الله عليه وسلم, وهو المهادنة واللين وتقديم بعض التنازلات التي قد تبدو شكلية, طمعاً في إيمان زعماء قريش ومن ثمّ تتبعهم بقية القبائل بحكم قيادتها الروحية ومكانتها الدينية بينهم.

وهو الأمر الذي عرضوه على الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (إن عدداً من زعماء قريش اجتمعوا فقالوا: "يامحمد! ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك. لقد سببت الآباء, وعبت الدين, وسفّهت الأحلام, وشتمت الآلهة, وفرّقت الجماعة؛ فما من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً, وإن كنت تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا, وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئياً تراه قد غلب,

بذلنا أموالنا في طلب العلم حتى نبرئك منه". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بي ما تقولون, ولكن الله بعثني إليكم رسولاً, وأنزل عليّ كتاباً, وأمرني أن أكون لكم مبشراً ونذيراً").

وعنه -رضي الله عنهما-: "أن قريشاً دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة, ويزوّجوه ما أراد من النساء, فقالوا: "هذا لك يامحمد, وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء ... إلخ) الحديث.

وأقل من هذه العروض بكثير جداً لو عرض على معظم قادة المسلمين في زماننا هذا, خاصةً من يعتبرون أنفسهم ساسة محنَّكون, لسال لها لعابه, وطار منها فؤاده, وظنّ أنها الفرصة الذهبية التي لو أفلتت منه سيعقبها النّدم طول العمر, ويقنّع نفسه وغيره بأن قبول هذا العرض أو ذاك لا يمثل ارتداداً عن الهدف الأسمى الذي يسعى لتحقيقه, ولا رجوعاً عن المنهج, أو الرضا القلبي بالباطل ودوام دولته, بل هي مرحلة "تكتيكية خداعية" حتى نستطيع التغيير الجذري دون الدخول في صدام مباشر مع الأعداء الداخليين والخارجيين, وأنه إنْ تولى المسؤولية فإنه: بحسن الإدارة, واختيار الكفاءات المخلصة, والعدالة, والخدمة الدؤوبة, وطهارة اليد, وتسخير كل الموارد لصالح الجماهير, فعندئذٍ سيشعر الناس بضخامة الفارق بين ما كانوا عليه وما صاروا إليه, ومن ثمّ يلتفون حوله ويقوون شوكته فيستطيع القضاء على الأحزاب العلمانية والكافرة قضاءً مبرماً, وإقامة الدين كاملاً لله.

وهذا من تلبيس إبليس؛ لأن من يظنّ أن أعداء الله بهذه السذاجة والبلاهة حتى تنطلي عليهم هذه الحيلة أصابه الوهم, وسوء التقدير, لأنهم لو كانوا يعلمون أن المسلمين يمكن أن يصلوا إلى الحكم بهذه الطريقة, لما سمحوا لهم بإنشاء الأحزاب السياسية ولا خوض الانتخابات العامة, كما يحدث في مصر وغيرها من الأقطار التي تمنع قيام الأحزاب على خلفية دينية. ولو سمحت لها فإنها تنقلب عليها وتستخدم معها العصا الغليظة إن جاءت النتيجة على غير ما يريد الحكام العلمانيون والغرب, والعالم ما بين مؤيد وصامت؛ كما حدث في الجزائر وتركيا زمن نجم الدين أربكان.

بالإضافة إلى مكر هؤلاء الشياطين الذين وصف الله مكرهم بأنه "لتزول منه الجبال".

وهو تسفيه لقياداتهم التي جمعت بين شياطين الإنس ومردة الجنّ.

وإغفال متعمد لحقيقة وجود الآلاف من أفراد الاستخبارات المحلية والعالمية والعملاء المحليين أو الذين يتسترون بغطاء الخدمة الإنسانية في المنظمات العالمية, الذين يجرون استطلاعات الرأي ويجسون نبض الشارع, ويسجلون كل صغيرة وكبيرة ويرفعون التقارير الفورية بالصوت والصورة.

ووجود عشرات أو مئات الآلاف في أقل دولة تعداداً للسكان من أفراد الشرطة والجيش المشمرون في انتظار الأوامر لسحل الأبدان وسحق العظام وإسالة الدماء البريئة أنهاراً قرباناً للديمقراطية المزعومة!

كما أنه نسيان لأوليات هذا الدين من أنه جزء واحد لا يتجزأ, وأنه بقدر ما تفرط في جـزء من أجزائه, أو تتغاضى عن تطبيق حكم من أحكامه, أو تعطل شريعة من شرائعه, بقدر مـا تفرط في عقيدتك وتوحيدك, شبراً بشبرٍ, وذراعاً بذراع, فهو كالعقد إذا انفرطت منـه حبـة انفرط كله بالتتابع.

وهذه العروض المغرية جداً مـن زعمـاء قريـش للرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم بـأن يملِّكوه عليهم, ويسوِّدُوه فلا يقطعون أمراً دونه, ويكون أكـثرهم مـالاً ونسـاءً, لـو أضـفيت إلى أنه كان من أكرمهم نسباً وعشيرةً, وأقواهم جسماً وشوكةً, كان ذلك يضمن له القــوة شبه المطلقة, ويستطيع خلال فترة بسيطة أن يؤلف القلوب بحسن بيانه وسـمته, ويجمـع القبائل ويشتريها بالمال, ومن ثمّ القيام بانقلاب عسكري, يفرض فيه نظامه بالقوة.

ولكن هل كان ذلك سيلين القلوب ويعبّدها لله وينـزع منهـا مـا أشـربته مـن حـب الآلهـة والأصنام التي كانت تعبدها من دون الله, أم كان سيسـخر الشـخوص دون النفـوس بحيـث تحاول التخلص من السلطان السياسي وزعامة قريش على بقية القبائل وتبعات الدين فـي أول فرصة تتاح لها, مثل الردة التي حدثت لكثير من القبائل بعد وفـاة الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم, رغم أن الله سبحانه وتعالى نصر عبده وأعز جنده ودخل الناس فـي ديـن اللـه أفواجاً؛ فما بال لو سلك طريق الانقلابات العسكرية الدمويـة أو داهـن فـي ذات اللـه حـتى يرضي القبائل على حساب العقيدة والتوحيد الخـالص, وحاشـاه أن يفعـل ذلـك صـلى اللـه عليه وسلم؟!

هذه العروض كانت لمجرد أن يتوقف عن سب آلهتهم, والدعوة لـترك عبادتهـا والتقـرب إليها, وهو أمر قد يبدو بسيطاً في صـورته, ولكنـه خطيـر فـي مغـزاه ومعنـاه ونتـائجه, لأن المطلوب هو القبول بوجود هذه الآلهة والاعتراف الضمني بشرعية عبادتها, وإعطائهـا حـق الحياة لتشرك مع الله, لا تعبد بذاتها, فقد كانوا أعقـل وأشـرف مـن كفـار زماننـا فـي هـذا الأمر.

فقد كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المتصرف في ملكـه, أي صـفات الربوبيـة, حيث يقول الله عزّ وجلّ حكاية عنهم: (ولئن سألتهم مـن خلـق السـموات والأرض ليقـولنّ خلقهنّ العزيزُ العليمُ), وقوله تعـالى: (قـل مـن يرزقكـم مـن السـمآء والأرض أمّـن يملـك السمع والأبصار, ومن يخرج الحي من الميـت ويخـرج الميـت مـن الحـي ومـن يـدبر الأمـر فسيقولون الله).

فهم مع جاهليتهم وبدائيتهم أرقى فكراً وأبعد نظراً من أتباع داروين وفرويـد وأينشـتاين وماركس ولينين, وعبدة الأبقار وبوذا والشيطان.

بـل إن إبليـس أعلـم مـن مشـركي زماننـا بربـه, وأعلـم بقـدر نفسـه, وآدب منهـم فـي الخصومة مع الله, فقد قال لربـه عـزّ وجـلّ: (فبعزتـك لأغـوينّهم أجمعيـن إلا عبـادك منهـم المخلَصين).

ولم تكن جريمته إلا أنه استكبر وظنّ نفسه أفضل من آدم الذي أُمِر بالسجود له, ولذلك عصى ربه ولم يسجد, أي رد الأمر على الآمر سبحانه وتعالى, وما معه من سلاح إلا الوسوسة والإغواء: (إنَّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون* إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون). (قال رب بما أغويتني لأزيِّنَنَّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين).

أما عباقرة هذا الزمان الذين يفترضون أنهم أعلم من الله فيشرّعون غير ما أنزل فجريمتهم أنكى؛ لأنهم لم يردوا الأمر على الآمر فقط؛ بل شرّعوا ما لم يأذن به الله وضادوا به تشريع الله وألزموا أنفسهم وغيرهم باتباع ذلك التشريع الكفري بالحديد والنّار؛ متهمين الشرع الرباني –تعالى عما يقول الظالمون- بالنقص وعدم مواكبة العصر والتطور البشري الذي شهدته القرون الحديثة.

ولا أجد مثلاً لذلك -ولله المثل الأعلى-, إلا كما لو أن عالماً كبيراً اخترع جهازاً الكترونياً في غاية التطور, وأرفق معه كتيباً بالإرشادات التي تحدد نطاق استخدامه وطريقة الاستعمال, والإصلاح إذا حدث به عطب أو خلل.

فجاء عبقري وقال: "إن هذا المخترع لا يفهم كثيراً في الالكترونيات", فأعطى الجهاز لطالبٍ مبتدئٍ في دراسة ذلك العلم ليحدد له أوجه الاستعمال وطريقته, وإذا حدث به خلل أخذه إلى مهندس ميكانيكا ليصلحه له على أساس أنه يعرف في كهرباء السيارات؛ أو يطلب من الأجهزة التي صُنِعَت على شاكلته أن تصلح ذلك الخلل بنفسها. فهل يدخل ذلك المنطق والعقل؟ تعالى الله عمّا يصفون.

فالله سبحانه وتعالى هو مبدع ومخترع هذا الكون بما فيه آدم وذريته, وحدد وظيفة الإنسان ومهمته في هذه الحياة. وأمده بالإرشادات التي تساعده في تأدية تلك المهمة, ونهاه عن الأشياء التي قد تعرقل مسيرته, وبيّن له العلاج في حالة حدوث خلل بفرد من أفراده أو مجتمع من مجتمعاته.

ولا يشك مؤمن عاقل في أن الله خالق هذا الإنسان أعلم به وبما يصلحه من البشر. وهو الذي حدّ الحدود وشرّع الشرائع, كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض فرائض فلا تضيّعوها, وحدّ حدوداً فلا تعتدوها" –رواه البخاري_.

فإذا جاء إنسان وبدّل تلك الحدود, واستبدل تلك الشرائع بشريعة من عنده؛ فقد جعل من نفسه نداً لله أولاً, وافترض أنه أعلم من الله ثانياً.

والخلاصة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم ثبت على المبدأ الذي اختاره الله له, وارتقى المركب الصعب, فلم يهادن الكفار والمشركين والمنافقين, ولم يداهن في ذات الله, ولا أطاع المكذّبين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ واختار ذات الشوكة فكانت الهجرة والجهاد.

مضى صلى الله عليه وسلم واثق بتحقيق موعود الله له, يشحذ همم أصحابه, ويهيئ نفوسهم للتضحية في سبيل الله, ويبشرهم بأن العاقبة لهم في الدّنيا والآخرة, يحكي لهم:

"كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض, فيجعل فيها, فيجاء بالمنشار, فيوضع على رأسه فيشق باثنتين, وما يصده ذلك عن دينه, ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصبٍ, وما يصده ذلك عن دينه, والله ليتمنّ هذا الأمر, حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضرموت, لا يخاف إلا الله, أو الذئب على غنمه, ولكنكم تستعجلون". –رواه البخاري-

ثمّ لم يأل صلى الله عليه وسلم جهداً في النصح للأمة, وبيان العراقيل التي ستعترض طريقها, والسبيل لاجتياز تلك العراقيل وتذليلها, وكأنه يطّلع على زماننا, ويوجه لنا النصح في شخوص أصحابه رضي الله عنهم, فيقول صلى الله عليه وسلم: "أوصيكم بتقوى الله, والسمع والطاعة, وإن تأمّر عليكم عبدُ حبشيُ, وإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً, فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين, عضوا عليها بالنواجذ, وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة".

ولعل من أخطر محدثات زماننا "الديمقراطية", وقبول التعايش مع الأحزاب العلمانية والقومية وغيرها في ظل نظام حكم ديكتاتوري متسلط يحميها ويرعاها.

ونظن –والله أعلم- أن الديمقراطية من بين الفتن التي قال فيها صلى الله عليه وسلم: "ستكون فتنُ, القاعد فيها خيرُ من القائم, والقائم فيها خيرُ من الماشي, والماشي فيها خيرُ من الساعي, من تشرّف لها تستشرفه, فمن وجد فيها ملجأً أو معاذاً فليعذ به".

وقال صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذٍ رضي الله عنه: "فاعتزل تلك الفرق كلها, ولو أن تعض بأصل شجرة, حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

الباب الثاني
الديمقراطية الفاضلة

وللتبشير بالديمقراطية -ذلك الدين القديم الجديد- الذي يصورونه على أنه العصا السحرية التي ستحل جميع المشاكل بمجرد استعمالها, كان لابد من شعارات ترفع وهتافات تردد, فلم يكن إلا شعارات الماسون وحكماء صهيون: (الحرية, والعدل, والمساواة).

ولابد من منابر يخطب من خلالها الخطباء والزعماء, فكانت المجالس النيابية.

ولابد من مقار يجتمع فيها الأعضاء, وتدار فيها الجلسات, وتعد فيها الخطط, فكانت مقار الأحزاب, التي يتظاهر كل منها بأنه الملاذ الآمن للفقراء والمساكين والجماهير العاملة, وحصن العدالة والدفاع عن حقوق الإنسان والمرأة والأقليات ... إلخ, ولكن الواقع يشهد بغير ذلك تماماً.

فالشعارات التي رفعت "كلمات حق أريد بها باطلاً", فهي غير مانفهمه من عقيدتنا وتراثنا.

فالحرية: تعني الإباحية الفردية والجماعية المقننة في غير ما يتعارض مع مصلحة النظام الحاكم.

والعدالة: إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ.

والمساواة بين الرجل والمرأة, والأبيض والأسود, والمسلم وأتباع الديانات الأخرى, يكذّبها واقع المجتمعات الديمقراطية العريقة خاصة حاملة اللواء "أمريكا".

فالتفرقة العنصرية بين البيض والسود لا تحتاج لبيان. والتفرقة بين الأمريكان ذوي الأصول الاسيوية والأفريقية وغيرهم من ذوي الأصول الأوروبية لا تخفى. والمساواة بين الرجل والمرأة يكذبها التفرقة بينهما في الوظائف, وفي الرواتب والأجور, رغم الحصول على نفس الدرجات العلمية.

فهي مساواة كاذبة زائفة, لا يريدون من الترويج لها بين شعوبنا إلا التغرير بالمرأة المسلمة للتنصل من طبيعتها وفطرتها, ودفعها للثورة على النظم والتقاليد الإسلامية والاجتماعية والأسرية, وإعطاء البنات الحق في العيش والتصرف مثلما شئن, وأين شئن, لا رقابة ولا حساب, وقوانين الدول ودساتيرها تحمي هذا الحق المزعوم.

وللتدليل على صحة ما ذهبنا إليه نلقي نظرة على واقع المجتمع الأمريكي من خلال تطبيق آيات القرآن التي وصفت جرائم الأمم السابقة منفردة وقد تجمعت في المجتمع الأمريكي وزاد عليها, وكل جريمة منها كفيلة بأن يحل عليها ما حل بالأمة التي اقترفتها, وذلك لنعلم مدى حلم الله على هذه الأمة الكافرة المتجبرة, وحتى لا نأسى عليها إن أصابتها قارعة أو أصابت من تشبه بها أو سارعلى نهجها وأطاع أمرها.

ولك أن تعجب من هذا الدين الجديد! إن نبيه ليس محمد صلى الله عليه وسلم -الصادق الأمين في الجاهلية والإسلام-, الذي قال فيه هرقل ملك الروم لأبي سفيان -وكان إذ ذاك رأس الكفر وزعيم المشركين-: "ما كان ليدع الكذب على النّاس ثم يذهب فيكذب على الله"!.

ودستور الدين الجديد ليس القرآن الذي وردت فيه آية واحدة تأمر بكل المكارم وفضائل الأخلاق, وتنهى عن كل أنواع الفواحش والمنكرات, وهي قوله تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآء ذي القربى, وينهى عن الفحشآء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون). والفحشاء: الذنوب المفرطة في القبح, والمنكر: كل ما تنكره العقول السليمة, والبغي: التطاول والتجبر والتعدي على الآخرين ظلماً.

وإنما دستور الدين الجديد يعطي البشر حرية العبادة المطلقة من شجر وحجر وأعضاء جنسية وأصنام وما شاء البشر عبادته, ووصل الأمر في الإباحة عندهم إلى أن يتزوج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة, وهو ما لم يحدث في الأمم السابقة.

وباستعراض جرائم الأمم السابقة التي ذكرها القرآن نجد انطباقها تماماً على المجتمع الأمريكي, بل وأشنع منها.

ولن نذكر أوجه العلاقة بين جرائم تلك الأمم والولايات المتحدة, ولا شرح معاني الآيات, ولكن نترك القارئ يستنبط ذلك بنفسه ونطلق له العنان يقارن بين تلك الآيات وواقع المجتمع الأمريكي.

كما لن نذكر كيف كانت نهاية تلك الأمم فكتب السيرة وقصص الأنبياء والحديث كفيلة بذلك.

قوم نوحٍ عليه السلام: (قالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) أي لا تتركوا عبادة الأصنام.

و**عاد**: (استكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منَّا قوةً), وقال لهم نبيهم هود عليه السلام: (أتبنون بكل ريعٍ آيةً تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون, وإذا بطشتم بطشتم جبّارين؟!) فهل خرجت أمريكا عن ذلك قيد أنملة؟

و**ثمود** قال لهم نبيهم صالح عليه السلام: (أتتركون فيما هاهنا آمنين في جناتٍ وعيونٍ * وزروعٍ ونخلٍ طلعها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين * فاتقوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون), وأخرج لهم الناقة آية لهم, (فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بعذاب الله إنْ كنت من المرسلين).

و**قارون** (كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إنَّ الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيمآ آتاك الله الدّار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدّنيا, وأحسن كما أحسن الله إليك, ولا تبغ الفساد في الأرض, إنَّ الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علمٍ عندي).

و**مدين** قال لهم شعيب عليه السلام: (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها, ذلكم خيرُ لكم إن كنتم مؤمنين * ولا تقعدوا بكل صراطٍ توعدون وتصدُّون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً).

و**قوم لوطٍ** عليه السلام قال لهم يعيّرهم: (إنَّكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين * أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر, فما كان جواب قومه إلا أنْ قالوا ائتنا بعذاب الله إنْ كنت من الصادقين).

و**فرعون** (علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنَّه كان من المفسدين), وقال: (ذروني أقتل موسى وليدع ربه إنِّي أخاف أن يبدِّل دينكم أو أن يُظْهِر في الأرض الفساد), وقال: (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرّشاد), (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنّوا أنهم إلينا لا يرجعون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين).

فهذه بعض جرائم الأمم السابقة, وهي نفس نتيجة الديمقراطية في واقع المجتمع الأمريكي وبقية الدول الديمقراطية العريقة وما أوصلتهم إليه, فهل نحب أن تصبح مجتمعاتنا على نفس تلك الصورة؟

وعلى المستوى الدولي وما يحدث في الأمم المتحدة – قمة الديمقراطية- ومجلس الأمن المزعوم؛ فيما يتعلق بقضايا المسلمين, والهيمنة الأمريكية المطلقة على صناعة القرار في تلك المنظمة, واستخدامها المتكرر لحق النقض "الفيتو" ضد رغبة المجتمع الدولي, وحرمان بقية الدول دائمة العضوية الأخرى من ممارسة نفس الحق في قضية الاجتياح الأمريكي الصليبي للعراق بتجاهلها لمجلس الأمن وبدء الهجوم دون انتظار للحصول على قرار يبيح لها ذلك خوفاً من استخدام فرنسا للفيتو بدعم من معظم الدول.

واستخدام الولايات المتحدة لأبشع أنواع الابتزاز وشراء الذمم الذي يسمونه (Horse Trading) ليس في الأمم المتحدة ومجلس الأمن فقط, بل في جميع المنظمات الدولية حتي الإنسانية منها ممَّا لا يخفى على أحد ويتم بصورة علنية وفي وضح النهار.

والآن نناقش قضية الديمقراطية مناقشة عقلية منطقية بعيداً عن الحساسية التي تنتاب دهاقنة السياسة ودعاة الديمقراطية إذا ما نوقشت القضية من الناحية الشرعية فقط, أو الذين يؤمنون بأن الديمقراطية هي السبيل الوحيد لتغيير واقع المسلمين في ظل الظروف الدولية الحالية, ولا يقتنعون بغيرها من الوسائل والسبل.

لهؤلاء جميعاً نوجه الحديث لعلنا نتفق على الطريق الأمثل والأولى بالاتباع لتحقيق خير الأمة وسعادتها.

ولكن قبل أن نتعرض لشكل الديمقراطية المطبقة في بلادنا وما يجب أن تكون عليه الديمقراطية النموذجية التي يبشرون بها, نذكر الأركان التي يُجْمِع الخبراء أن أحدها لو سقط, فسيتصدع بناء الديمقراطية وينهار.

هذه الأركان هي:-

1- نظام سياسي يسيطر على جميع أنحاء البلاد, ويتسم بالقوة والهيبة والعدل.
2- رأي عام متماسك يجمع بين أعضائه روابط مشتركة من دين وعرق ولغة ... إلخ.
3- مرشحون مستعدون لبذل كل قطرة دم وعرق في خدمة الجماهير, وتحقيق الأماني الوطنية.
4- سلطة قضائية مستقلة نافذة الحكم على الجميع, ومسؤولة عن إجراء الانتخابات بكل تبعاتها, وفي جميع مراحلها.

وهذه الأركان تحتاج إلي شيئ من التفصيل حتى تتم المقارنة بين ما هو واجب في الديمقراطية النموذجية –إن كانت هناك نموذجية- وبين ما هو "واقع" فعلاً في كل المجتمعات التي تطبقها, على تفاوت في درجات وشكل ذلك التطبيق.

الركن الأول: نظام سياسي مسيطر على الأوضاع في البلاد. فهذا أمر بدهي لا يحتاج لتدليل حتى تتم عملية الانتخابات بسلام في جميع أنحاء البلاد, وتمثل حقيقةً الرأي العام بمختلف فئاته وطوائفه, وبالتالي تكون نتيجة الانتخابات ممثلة للرغبة الشعبية وتتمخض عن تشكيل حكومة ومجلس للنواب يرتضيه أغلبية الشعب.

وهذا النظام بأجهزته الضاربة من جيش وشرطة واستخبارات مسؤول عن تنفيـذ الكـثير من المهام الثقيلة التي نذكر منها ما يلي:-

1- الالتزام بأحكام الدستور والقانون وإلزام جميع أفراد الشعب وقياداته بذلك.
2- تحديد الأسس التي يتم على ضوئها إنشاء الأحزاب السياسـية, ورفـض قيامهـا علـي أسـاس عرقـي أو قبـائلي أو لهجـوي لأن المجتمـع المتحضـر لا يقبـل هـذا التقسـيم المتخلف, ولأن الهدف هو صـهر الأمـة فـي بوتقـة واحـدة لتصـير كيانـاً متماسـكاً, لا ترسيخ دواعي الفرقة والشقاق.
3- تنفيذ كافة الإجراءات اللازمة لإتمام العملية الانتخابية.
4- ضمان أمن وسلامة الحملة الانتخابية لجميـع الأحـزاب والأفـراد, خاصـةً المرشـحين والناخبين من كافة الانتماءات والاتجاهات؛ قبل إجراء الانتخابات وبعدها.
5- ضـمان حريـة التعـبير والـرأي لجميـع المرشـحين مـن خلال جميـع وسـائل الإعلام المتاحة, بدون تمييز ولا ميل لحزب دون حزب حتى لو كان الحزب الحاكم, ولا لفـرد دون فرد حتى ولو كان الرئيس نفسه.
6- التدقيق في سِيَرِ المرشحين الذاتيـة وذممهـم الماليـة والأخلاقيـة, ورفـع الأمـر إلـى القضاء للبت في طلب استبعاد العناصر غير الصالحة منهم.
7- التدقيق على مصادر التمويل للحملة الانتخابية للأحزاب والأفراد.
8- الالتزام بتنفيذ نتيجة الانتخابات مهما كانت, وإشاعة الطمأنينـة والثقـة فـي شـفافية النظام والتزامه بالقانون, وبالتالي إتاحـة الفرصـة أمـام ممثلـي الشـعب أن ينفـذوا برامجهم التي تعهدوا بها خلال الحملة الانتخابية.
9- التسجيل الدقيق للممتلكات الشخصية والأرصدة المالية والتجاريـة لجميـع الفـائزين في الانتخابات وذويهم وقراباتهم وأصهارهم لضمان عدم اسـتغلال النفـوذ أو سـرقة المال العام أثناء فترة الولاية, وقبض رهان منهم في حال حصولهم على قروض مـن البنوك والمؤسسـات الماليـة الحكوميـة علـى أن يتناسـب حجـم القـرض مـع ثـروة المقترض, وأن يكون هناك سبب وجيه لحصوله على تلك القروض.
10- إجراء جميع الاقتراعات داخل المجـالس النيابيـة بصـورة علنيـة حـتى لا يتـم شـراء الأصوات سراً, والدخول في تجارة الرقيق التي تجري باتباع نظام الاقـتراع السـري المتبع حالياً.

فهذه بعض النقاط التي يراها الخبراء في شؤؤن الديمقراطية ضرورية لضمان التطبيق النموذجي لها, وهي ليست على سبيل الحصر بل قد أكون أغفلت أهم منها, ويعرفها خبراء السياسة والديمقراطية.

و**أما الركن الثاني مـن أركـان الديمقراطيـة "الفاضـلة"** فهـو وجـود رأي عـام مستنير متفاعل, يقدم المصالح العليا والقيم الاجتماعية والدينية فوق الأحزاب والأشخاص.

والقواسم المشتركة التي ذكرناها وتجمع بين أفراده تجعله يقف متحداً مـع "الشـرعية" وضد الخروج على الدستور والقانون بأي شكل مـن الأشـكال, وأيـاً كـانت الجهـة الخارجـة عنهما, لا يهدأ له بال ولا يقر له قـرار حـتى يسـود الأمـن والسـلام والرّخـاء والعـدل أرجـاء المجتمع.

لا تخدعه الشعارات البرّاقـة, ولا يرضـى بـالوعود الطنّانـة, ولا تنطلـي عليـه سياسـات: العصا والجزرة, أو الأسفنجة, أو اضرب المربوط يرتعد الطليق, أو فرّق تسد ... إلخ.

وذاكرته قوية حية, يحاسب ممثليه ونوابه عن تصريحاتهم ووعـودهم السـابقة, ويُسـقط كل من لم يف بها, أو ثبت عدم أهليته وصلاحيته.

كما أنه يتمتع بالرفاهية وارتفاع مستوى الدخل للغالبية العظمى من أفـراده, لأن الفقيـر المعدم, أو الموظف الصغير, أو العامل محدود الدخل, لا يأبه كثيراً بسياسـة الحكومـة, ولا تطبيق أحكام الدستور والقانون, ولا السياسة الدولية, لأن كل همه هو توفير الطعام وأدنى متطلبات الحياة له ولأفراد أسرته, وغالباً ما يتنازل عن حقه القانوني في التصويت, أو يبيع صوته مقابل وجبة طعام, أو حفنة دراهم, ويكدّس في الشاحنات كمـا تكـدّس الأنعـام فيهـا ليضع بصمته على البطاقة الانتخابية التي تحمل رمز الحزب الحاكم.

والفرد في الديمقراطية الفاضلة مثقـف ثقافـة عاليـة. فيعـرف حقـوقه وواجبـاته طبقـاً لأحكام الدستور والقانون, حـتى يحاسـب الحكومـة إذا انتهكتهـا أو أغفلتهـا. ودرس التاريـخ والعلاقـات الدوليـة –الإقليميـة والعالميـة- ليسـتطيع الإدلاء برأيـه فـي الاسـتفتاءات حـول الـدخول فـي تحالفـات اقتصـادية أو سياسـية أو عسـكرية مـع الآخريـن, أو الـدخول فـي صراعات عسكرية أو غيرها.

والخلاصة: أنهم لا يرضون عن الأفضل بديلاً, ولا عن الديمقراطية الحقة سبيلاً.

وثالث هذه الأركان: هم المرشحون لنيل شرف تمثيل الأمة والنيابـة عنهـا فـي إدارة شؤون البلاد الداخلية والخارجية. وهم يعلمون تمـام العلـم ثقـل المسـؤولية الملقـاة علـى عاتقهم, وأن الأمة تكون قد وضعت ثقتها فيهم إن اختارتهم من بيـن آلاف المرشـحين. وأن أمانة الدفاع عن حرية الوطن وكرامته وقيمه وأخلاقياته, وتحقيق رفاهيته وازدهاره ستكون في أعناقهم.

ولذلك فهم نوعيـة خاصـة مـن الرّجـال الـذين طهّـروا أنفسـهم أولاً ثـمّ تـداعوا لتطهيـر المجتمع. وخدمة الجماهير هي هدفهم. وإسعاد النّاس أمنيتهم. فالعطاء ديـدنهم, والتفـاني ظاهرهم, يضحّون بأنفسهم ومصالحهم للصالح العام.

لا يبغون من ترشيح أنفسهم جزاءً ولا شكوراً, ولا شهرةً ولا شعبيةً, ولا استرضاء حـزب أو قبيلة.

وتنافسهم يتسم بالشرف ونكران الذات, والعدالة مع الآخرين, ولذا لا يهمهم مـن يفـوز, وهذا ينعكس على موقفهم بعد إعلان نتيجة الانتخابات, فيكون الخاسر منهم أول مـن يهنـئ

منافسه الفائز بصدق وإخلاص, ويعقب ذلـك الـدعوة إلـى تهيئـة المنـاخ لـه ليـؤدي مهمتـه بنجاح, لأن هذا لصالح المجتمع كله.

ورابع هذه الأركان: السلطة القضائية التي تتولى الإشـراف علـى العمليـة الانتخابيـة برمتهـا, وهـي جهـة الحسـم فـي أي خلاف ينشـب بيـن المرشـحين والأحـزاب والسـلطة التنفيذية.

وهي بسلطاتها الواسعة المطلقة, ونزاهة أعضائها, واستقلاليتهم عن السلطة التنفيذيـة التي لا دخل لها في تعيين قضاة المحاكم العليا ولا اختيار اللجنة المسئولة عـن الانتخابـات, واستعلائهم على الانتماءات الحزبية أو السياسية؛ حكم عدل ودرع حصين للديمقراطية.

فهذه هي أركان الديمقراطية "الفاضلة" الـتي أظـن أن العقلاء والمُنْصِـفون مـن أنصـار الديمقراطية يؤمنون بها ويؤيدونها, ويعتقدون أنها لا تقوم إلا بها.

فهل هناك شعب على الأرض تنطبق عليه تلـك المواصـفات -سـواء الأفـراد أو المجتمـع كله- حتى تقتدي به بقية الشعوب؟

أظن أن الجميع سيجيب بالنفي القاطع! **ولذلك سميتها "الديمقراطية الفاضـلة" لأنها لن تكون إلا في "المدينـة الفاضـلة" أي عـالم الخيـال والتـأليف وليـس عالم الواقع**.

لأننا لو استعرضنا الديمقراطيات الحالية فسنجدها أبعد ما تكون عن تلك الـتي يبشـرون بها, حتى لو نصت دساتير تلك الدول على الالتزام بهـذه الأركـان؛ فسـمة التحايـل والخـداع والتضليل, وسوء القصد في توجيه الحملـة الانتخابيـة لصـالح الأحـزاب العريقـة والحكومـة أمور لا يمكن ضبطها وإثباتها. وحتى لو تم ذلك فلـن يغيّـر فـي واقـع الأمـر شـيئاً, وسـيقال للمتضرر "نفّذ ثمّ تظلّم" وهيهات أن يفيده اللجوء إلي محاكم الدولة شيئاً, والطريقـة الـتي وصل بها الرئيس الأمريكي الحالي للحكم خير دليل على ذلك.

والآن قد آن الأوان للكلام عن شكل الديمقراطية المطبقة في دول العالم الثـالث الـذي ينتمي إليه جميع الدول الإسلامية -عدا ماليزيا-.

ولكن قبل أن نسـتعرض شـكل تلـك الديمقراطيـة نؤكـد أن جميـع المسـلمين بمختلـف فئاتهم وطوائفهم وآحزابهم ودولهم في سفينة واحـدة, سـيغرقون إن غرقـت, وينجـون إن نجت ووصلت إلى شاطئ الأمان.

(كمثل قومٍ استهموا على سفينة, فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها, وكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم, فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا!! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً, وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً) –رواه البخاري-.

والذي يظن أنه خارج هذه القاعدة أخرق؛ فالمجتمع يضم أهله وأقاربه وعشيرته وأصهاره وأصدقاءه, فإن نجا هو بنفسه وازدادت حساباته, وانتفشت ثروته, على حساب كل هؤلاء وبقية إخوانه من المسلمين, فإنما ذلك إلى حين. وعندما يتمكن الباطل من رقاب المسلمين فلن يدع أحداً إلا أذله واستولى على ممتلكاته.

والفقر الذي يضرب بأطنابه جعل الأمة كالمريض بفقر الدّم (الأنيميا), وكل من يسرق أو يختلس أو ينهب ثروات الأمة وممتلكاتها كالذي يسحب من دم ذلك المريض ليعجل بقتله, والذي يساعده أو ينتخبه أو يرشحه شريك له في الجريمة ووزرهما سواء.

والمرابي الذي يأتيه الفقير ليستدين منه ما يسد به رمقه ويقيت عياله, أو الفلاح المعدم الذي يريد شراء البذور والسماد لزراعة شبر الأرض الذي يملكه أو يستأجره, فلا يرحمه ويأخذ منه الفائدة –التي يسمونها فائدة وهي خسران مبين-, فيزيده فقراً على فقره وعوزاً على عوزه, فهو كالبدين الصحيح الذي يسحب دم النحيف الهزيل ويحقنه لنفسه, فما أخسها من جريمة, وما أبشعه من منظر, خاصةً إذا قورن بتلك القمة الشماء التي يعتليها المؤمن حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله", وقال صلى الله عليه وسلم: "حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيئ, إلا أنه كان يخالط النّاس وكان موسراً, وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر, قال الله عزّ وجلّ: (نحن أحق بذلك منه, تجاوزوا عنه)" –رواه مسلم-.

ولذلك فإن عاقبة ذلك المرابي أن يسبح في الدّم الذي يمتصه من ضحاياه, فقد ورد في الحديث من رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حتى أتينا على نَهَرٍ من دمٍ فيه رجلٌ قائمٌ, وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة, فأقبل الرجل الذي في النهر, فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجرٍ في فيه, فردّه حيث كان, فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجرٍ, فيرجع كما كان ... والذي في النهر آكل الرّبا).

<u>وهناك نقطة جديرة بالتنويه والملاحظة:</u> إن الذي يسرق من غيره ويضبط, يسمى سارقاً ويكتب ذلك في صحيفته, ويعلن ذلك للنّاس, سواء كان الشيئ المسروق ملكاً شخصياً أو عامّاً, فلماذا يسمى المواطن العادي سارقاً لو سرق شيئاً تافهاً ويفضح على الملأ, ولا يقال لعضو البرلمان أو المجلس البلدي أو مجلس الوزراء سارقاً إذا سرق بالملايين؟!.

والذي يقبل الرّشوة هو "مرتش" والذي يدفعها له "راش" والساعي بينهما "رائش" وثلاثتهم ملعون, لقوله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الراشي والمرتشي", وفي رواية "والرائش".

فالمواطن الكبير الذي يتلقى الرشاوى على شكل مبالغ ضخمة تضاف إلى رصيده في البنك, أو تسلّم له يداً بيد, أو يُسْنَد إليه كرسيٌ في الوزارة, أو مقعد في البرلمان مقابل الانحياز للحزب الحاكم أو إعطاء صوته له في الاقتراع السري, لماذا يستنكف أن يقال عنه مرتشياً, والذي أعطاه راشياً؟!

والذي يزني هو "زان" يجب إقامة الحد عليه ويشهده طائفة من المؤمنين -أي علانية-.

وفي وسط السياسيين وممن يسمون بـ"رجال المجتمع" تنتشر هذه الآفـة, وربمـا كـان للسياسي "المحترم" أولاد من الزنا معروفين, ومع ذلـك يتـم انتخـابه للبرلمـان أو الـوزارة فضلاً عن عدم إقامة الحد عليه؟!

والمرشح الذي وضعت فيه الجماعة أو القبيلة أو جماهير الحزب ثقتها, فانتخب للإصلاح, وتحقيق مصالح الذين انتخبوه؛ فخان تلك الأمانة, وخذلهم فخالفهم -سـراً أو علانيـةً- واتبـع هواه, ولم يبحث إلا عن مصالحه الشخصية علي حساب مصالحهم وحقـوقهم, فهـذا خـائن, وكما خان في نطاق صغير فلا نضمن إنْ تولى مرة ثانية أن يخون الأمة بأكملها, فالذي فـي طبعه الخيانة يخون الأمانة مهما دقت أو عظمت, فالأمر عنده سيان.

والذي يعمل في بنك من البنوك الربوية أو يتعامل بأي شكل من أشكال الربـا, "مـراب" ملعون بلعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لـه حيـث: "لعـن آكـل الرّبـا ومـوكله" وفـي رواية "وشاهديه وكاتبه" -رواه مسلم-.

وقس على ذلك. فيجب أن نسمي الأشياء بمسمياتها, والأشخاص بأسمائهم.

فهل إذا كتب في لوحات الدعاية الانتخابية "انتخبـوا فلان السـارق" أو .... الخائن" أو ... الملعون"؛ هل تظنون أن أحـداً مـن النّـاس سـينتخبه إلا مـن كـان علـى شاكلته أعمي البصيرة وفي قلبه مرض؟!

فإذا كانت هذه هي الحقيقة حتى ولو لم تكتب في الدعايـة, فلمـاذا نغـض الطـرف عنهـا ونرتضيه ليمثلنا وينوب عنّا؟!

ولهذا نقول لمن يصوّت لحساب أحدٍ من هؤلاء أو يـدعو النـاس للتصـويت لصـالحهم, أو ينافح ويجادل عنهم بالباطل, نقول له: "لـو تقـدم هـذا الشـخص ليـتزوج أختـك أو ابنتـك أو قريبتك, وأنت تعلم حقيقته وسوء طويته, أكنت ترضاه زوجاً لها أم سترفضه؟

ولو كان عندك أموال أو تجارة أكنت تأتمنه عليها وتتركها له يتصرف فيها بحرية, أم أنـك سترفض ائتمانه عليها, وتختار الإنسان الأمين حسن السمعة لتوكل إليه تلك المهمة؟

فإن كانت الإجابة بالأولى –أي أنك ستقبله على علته- فأنت مريـض القلـب لا خيـر فيـك وعلى شاكلته.

وإن كانت الإجابة بالثانية –أي أنك سترفضه-, فنقول لـك: "إذا كنـت لا ترضـاه لأختـك أو لابنتك زوجاً, ولا تأتمنه على مالك أو تجارتك, فكيف تأتمنه علي مال الأمة وحرماتها وأمنهـا واستقلاليتها ألا يخونها ويفرّط فيها؟!

أفتكون بنتك أو أختك أو تجارتك ومالك أعزّ عليك من الله ورسوله وعباده المؤمنين؟!

ونفس هذا الكلام يقال لمن يصوّت في المجـالس النيابيـة علـى عـدم تطـبيق الشـريعة الإسلامية, خاصة الحدود.

إن الـذي يعـترض علـى إقامـة الحـد علـى الزانـي إنمـا يريـد أن تشـيع الفاحشـة فـي المؤمنين(إنَّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا لهـم عـذابٌ أليـمٌ فـي الـدّنيا والآخرة, والله يعلم وأنتم لا تعلمون) –النور 19-.

فليت الأمر يقتصر على العقوبة الأخروية فقط, بل لابد أن يشرب من تلـك الكـأس فـي يوم من الأيام, وتُرْتَكب الفاحشـة فـي أقـرب النسـاء إليـه, وسـاعتها إن كـان لا يـزال فـي منصبه وسطوته ومازال عنده شيئ من النخـوة, سـاعتها لـن يرضـى بالقـانون الـذي أقـره ووافق عليه بديلاً لحد الرّجم للمحصن والجلـد لغيـر المحصـن, وربمـا أخـذته العـزة بـالإثم فأناب من يفجر بإحدى قريبات الجاني أو عدداً من قريباته, بل وربما قتله ومـن قـدر عليـه من أقربائه.

وأما إن كان قد تم عزله وفقد سلطانه فسيرضخ مع الراضخين.

والذي يعطل إقامة الحدود إنما يريد أن يكثّر الزناة والسارقين وشاربي الخمر والقتلة.

<u>وحد رجـم الزانـي الـذي يريـدون منـا تغييـره:</u> إمـا بـدعوى الإنسـانية والشـفقة واستشراء هذه الكبيرة بين الناس, وإما بدعوى أن ذلك همجية ووحشية –تعـالت الشـريعة الغرّاء عن ذلك-, إنَّ حد الرّجم موجود فـي التـوراة غيـر المحرّفـة بـاعتراف علمـاء اليهـود وأحبارهم.

فقد مُرَّ على النبي صلى اللـه عليـه وسـلم بيهـودي محمّـم –أي مسـوّد الـوجه- مجلـود, فدعاهم, فقـال: "هكـذا تجـدون حـد الزانـي فـي كتـابكم؟" فقـالوا: نعـم. فـدعا رجلاً مـن علمائهم فقال: "أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حـد الزانـي فـي كتابكم؟" فقال: لا والله, ولولا أنك نشـدتني بهـذا لـم أخـبرك. نجـد حـد الزانـي فـي كتابنـا الرّجم, ولكنه كثر في أشرافنا, فكنّا إذا زنى الشريف تركناه, وإذا زنى الضعيف أقمنا عليـه الحد. فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع, فاجتمعنا علـى التحميـم والجلد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أمـاتوه" فـأمر به فرُجِمَ. –رواه أحمد ومسلم وغيرهما-.

وكل ما في الأمر أن اليهود والنصارى بدّلوا شرعة الله ويريدون أن يضلونا السبيل فنتبع سبيلهم وينشرون تلك الفاحشة فينا كما انتشرت في مجتمعاتهم, ولذلك يزيّنـون لأوليـائهم من بني جلدتنا وممن يتسمون بأسماء المسلمين أن يجادلوا بالباطـل ليدحضـوا بـه الحـق: (وإنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليآئهم ليجادلوكم, وإنْ أطعتموهم إنَّكم لمشركون).

فإن قال متنطع: "إنه قد تاب قبل انتخابه, والله غفور رحيـم, وعفـا اللـه عمّـا سـلف!", فنقول له:

أولاً: لابد أن يحقق شروط التوبة التي حدّدها العلماء إذا كانت في حق العباد وهي:-

1- أن يقلع عن المعصية.
2- أن يندم على فعلها.
3- أن يعزم أن لا يعود إليها.

4- أن يبرأ من حق صاحبها, فيرد له مظلمته من مالٍ أو متاعٍ أو غيرهما, أو يمكّنه من نفسه لينتصف منه إن كان قد آذاه في نفسه أو عرضه, أو يعفو عنه من تلقاء نفسه وبمحض إرادته دون ضغط.

هذا بجانب أن يتوقف عن الدفاع عمن يقترفها أو يعطل الحد الذي قررته الشريعة لمرتكبها, ويتبرأ منها علانية إن كان قد اشتهر بها.

فإن حقق تلك الشروط فيجب ألا يتطلع إلي الإمامة العظمى أو القيادة في مستوياتها العليا, بل يجب أن يؤخر حتي يثبت حسن توبته, فلا يصح تقديم طلقاء الفتح على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار, وهل يتقدم لإمامة المصلّين من لم يبدأ تعلم أحكام الطهارة إلا قبل أيام معدودات؟!

فإن قيل إنه ذو نسب ومالٍ ووراءه قبيلة وأتباع, فنقول له ولهم: (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه), (وما أموالكم ولآ أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى~ إلا منْ ءامن وعَمِلَ صالحاً).

ولقد رفع الإيمان بلالاً العبد الحبشي, ووضع النسيب أبا لهبٍ القرشي.

الباب الثالث
الديمقراطية المزخرفة

فإذا انتقلنا إلى ديمقراطية العالم الثالث -ومن ضمنه الدول الإسلامية-, فسترى العجب!

حيث لامانع أن يكون الرئيس من: أنصاف المتعلمين, أو الفاشلين دراسياً وأخلاقياً, أو مجهولي الهوية, أو أصحاب الفضائح "البنامية" كما نصت عليه بروتوكولات حكماء صهيون, وغالباً ما يكون من الماسون وعملاء الاستخبارات العالمية.

هؤلاء الحكام يفصّلون ديمقراطية شكلية زخرفية لإضفاء الشرعية على أنظمة حكمهم الفاسدة المستبدة, ومن ثمّ ارتكاب ما يرتكبونه باسم الدستور ونيابة عن الشعب –كما يدّعون-.

وإطلاق يد الحاكم في الزّج بعشرات الآلاف من الخصوم السياسيين وأعضاء الجماعات الإسلامية أو العرقية في المسالخ التي يسمونها ظلماً وعدواناً "السجون".

وإعدام من شاء منهم بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم "الدستوري" مهما قل عدد الفئة المتَّهَمَة بذلك. وكأن نظام الحكم "طبلية" يستطيع أي طفلٍ أن يقلبها برجله –كما قاله الشيخ محمد نجيب المطيعي (رحمه الله)- مستهزئاً من نظام الحكم في مصر الذي اعتقل مجموعة من تلاميذ المدارس مع معلمهم ووجه إليهم تلك التهمة.

والتهمة المعلّبة الثانية: محاولة اغتيال "الرئيس", وما أدراك ما الرئيس؟!

إنه كما تصوره وسائل الإعلام المأجورة:

ذاك القائد الملهم, أمل الأمة, وقائد نهضتها, وباني حضارتها, ومفجر طاقتها, ورمـز عزتها وكرامتها!!

الذي بفضل سياسته "الحكيمة",

وتوجيهاته "السديدة":

لموكب البطل الجَسور
وناقلات أعوانه الصقور
عند زحفه المنصور
لإخراج شراذم الجحور
المطالبين بتغيير الدستور

هكـذا يدنـدنون فـي إعلامنـا المأجور

بوسـائل أعجـزت مـارد الجان
هدية محبة من الأمريكان
كما عمّر فيها الدّور
لكل مقدور وميسور
وشيّد القصور
من جلمود الصخور
وزيّنها بأكاليل الزُّهور
للوزراء وأصحاب الدثور
وأقام عوالي الجُسور
لتسهيل حركة المرور

زاد متوسط عمر الإنسان
وصـارت الأرض حـدائق وبستان
وزادت إنتاجية الفدان
فامتلأ معـي الآدمـي وكـرش الحيوان
وبنـى قلاعـاً فـاقت صـرح سليمان
فـي الخـالي مـن الـبراري والوديان
فيها العذاب أشكال وألوان

ولذا فإن نظام الحكم في هذه الدول لا يتغير من ناحية الشكل والمضمون. رئيس دولة (مدى الحيـاة), بيـده كـل السـلطات والصـلاحيات. وهـو فـوق القانون لأنه هو الذي يصنعه. وفوق الدستور لأنه يطبق منه ما ينفعه. ويعدّل ويبدّل من مواده ما شاء أن يتجرعه.

والاستفتاء جاهز, ونسبة الـ 99% مضمونة.

فإذا كان الرئيس في مصر والجزائر وجميع الدول العربية والإسلامية –إلا ماليزيا- يملـك صلاحية حل المجالس النيابية وإقالة الحكومة في أي وقت شاء.

وهو الذي يعيّن المحـافظين أو الـولاة أو حكـام المقاطعـات, ومـن ثـم فجميـع الإدارات الأمنية والسياسية فيها تدين له بالولاء التام.

وهو الذي يعيّن رئيس المحكمة الدستورية العليا, فهو يدين له بالطاعـة. أي أن السـلطة القضائية رهن إشارته, سنّاً للقوانين وإصداراً للأحكام.

وفي "باكستان" يملك صلاحية مد فترة خدمة قضاة المحاكم العليا لثلاث سنوات أخـرى عند بلوغهم سن التقاعد فالكل يخطب وده ليمد له فترة خدمته.

وهو الذي يعيّن رئيس لجنة الانتخابات منفرداً, وأعضاء اللجنة الآخريـن بالتشـاور, أي أن اللجنة الانتخابية موالية له.

وإذا كان ثلث أعضاء مجلس الشورى ونسبة من أعضاء مجلس النوّاب بالتعيين من قبل الرئيس منفرداً أو بالتشاور –صورياً- مع أعـوانه حكـام المقاطعـات وقـادة المحـاكم العليـا الذين هم رهن الإشارة كما أسلفنا, أي أن السلطة التشريعية ستُشَرِّع له ما يريد.

وهكذا فالسلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضـائية بيـده, فمـاذا بقـي للحكومـة وممثلي الشعب المنتخبون "ديمقراطياً" ليراهنوا عليه, أو أي قوة لفعل ما تعهـدوا بـه فـي حملاتهم الانتخابية إذا كان ذلك خلاف ما يريده الرئيس والنخبة الحاكمة؟!

وبسيطرته المطلقة على القوات المسلحة بصفته القائد الأعلي لها, وتعيينه جميـع قـادة الأفرع: البريـة والبحريـة والجويـة. وكـذلك أجهـزة الأمـن المختلفـة؛ خاصـة الاسـتخبارات. وعلاقاته بأصدقائه وحلفائه وأوليائه الغربيين ومن هم علـى شـاكلته مـن حكـام المسـلمين وغير المسلمين يضمن له كل ذلك حماية ظهره.

ولذا فإنَّ أي رئيس من هؤلاء جبلٌ جـاثمٌ علـي صـدر الأمـة لا يـتزعزع عـن الحكـم مهمـا عصفت بها النكبات والهزائم, وكأنه الفرد الأوحد في البلد الذي يصلح للقيادة, والأمة ستباد وتنتهي إن تنازل "سيادته" عن الحكم أو تم انتخاب شخص آخر بدلاً منه!!

و"سيادة" الرئيس فوق المساءلة, فلا يطاله الانتقاد أو الاتهام لأن ذلـك امتهـان لكرامـة الأمة, ولأن كباش الفداء من الوزراء والمحافظين والمدراء وغيرهم معدّة سلفاً.

لا يضطر للاستقالة إلا إذا وصل الدّمار مرحلة لا يمكن إخفاؤها, والفساد درجـة لا يخفـى عوارها, وحدثت انتفاضة شعبية تجبره على التنحي عن السلطة –وهـذا نـادر الحـدوث فـي بلاد المسلمين-.

فإذا حدث ذلك الطوفان وجد الملاذات الآمنة "محجوزة", حيث أموال شعبه الـتي نهبهـا "مكنوزة", والقصور التي اشتراها بتلك الأموال "مزينة ومحفوظة".

<u>أمـا الحكومـة</u> فالهـدف الأساسـي منهـا هـو إعطـاء المصـداقية للحـاكم والشـرعية لتصرفاته, والإيهام بأنه لا ينفرد بتصريف شئون الدولة, بالإضـافة إلـي الاضـطلاع بالشـئون المالية والإدارية.

وهي الشمّاعة الـتي تعلـق عليهـا الأخطـاء –لأن سـيادة الرئيـس لا يخطـئ كمـا يصـوره الدّجالون-.

وهي الحائط الذي يتلقى اللوم والانتقادات والوقـوف كـالمتهمين فـي المجلـس النيـابي للرد على استجوابات أعضاء المجلس, وغالباً ما تتم إقالتها وسط الاتهامات واللعنات لتحل محلها حكومة أخرى لتلقى نفس المصير .. وهكذا دواليك.

<u>وأما أعضاء المجالس النيابيـة</u> فيفـترض أنهـم يمثلـون جميـع العرقيـات والـديانات والأقليات –الدينية والمذهبية-, والمناطق الجغرافية والسياسية, من كلا الجنسـين: الـذكور والإناث, وجميع الاتجاهـات الفكريـة والثقافيـة الأصـيلة والدخيلـة, <u>ولـذلك يـدخل المجلـس</u>

النيابي ممثلاً للأمة الإسلامية: المسلم والنصراني واليهودي والمجوسي, والبريلوي والقادياني والحبشي والشيعي وغيرهم. والشيوعي والإباحي والعلماني, والبيروقراطي والارستقراطي والرأسمالي والماركسي وغيرهم. والحاصل على أعلى الدرجات العلمية والأمي الذي لا يستطيع كتابة اسمه؛ كلهم سواء!

المهم الفوز في الانتخابات العامة.

على أن يكون غالبية أعضاء المجلس موالين للحاكم, وأن تكون المعارضة ضعيفة مهمّشة لا تقدم ولا تؤخر في تمرير القوانين التي تتعلق بالقضايا المصيرية التي يقرها المجلس.

هذه الغالبية العظمى التي تقر تلك القوانين لا وظيفة لهم إلا التصفيق للزعيم: كلما توقف ليلتقط أنفاسه خلال إلقائه الخطب عليهم, أو لخطابه المقروء نيابة عنه, أو لتوجيهاته التي تتلى عليهم لتحويلها إلى قوانين لازمة النفاذ.

هذا بالإضافة إلي تحقيق أكبر قدر من المكاسب الشخصية والحزبية, وحل مشاكل أبناء الدائرة الانتخابية أو القبيلة التي ينتمي إليها على حساب مصالح الأمة وقضاياها المصيرية, فهم أبعد ما يكونون عن فهم المسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية الشاملة حتى يناقشوها ويدلوا بآرائهم فيها. وحتى إن فهموها فهم أثناء مناقشتها ما بين نائم ومصفق ومشغول بمناقشات جانبية خاصة.

وتنفرد دول العالم الثالث -خاصة التي تطبق الديمقراطية المزخرفة منها- بوجود أصنام عدّة تختلف من بلدٍ إلى بلدٍ, ولكن هناك أصنام مشتركة.

و**الصنم كما عرّفه العلماء** :"هو كل ما عُبِدَ من دون الله, بل كل ما يشغل عن الله تعالى يقال له صنم". تلك الأصنام المشتركة هي:

1- ***الوطن:*** على وزن وثن أو صنم. الذي تلهج الألسنة بتسبيحه في كل مناسبة قومية. وتؤلف فيه القصائد, وتلحن فيه الأغاني, ويقدم ذكره على الله وأنبيائه ودينه وشريعته فيقال: مصر فوق كل شيئ, باكستان أولاً .. إلخ!

2- ***الزعيم مؤسس الدولة:*** قائد الثورة حتى الاستقلال "المزعوم", أو مؤسس الدولة الحالية حتى وإن كان ورث حكمها عن آبائه. أقواله تردد كما تردد آيات القرآن. وأفعاله نماذج تحتذى فوق أفعال الأنبياء والأولياء. وتوجيهاته أعلى من القانون الإلهي المُنَزَّل من السمآء, واجبة التنفيذ مع الانحناء.

3- ***الدستور:*** الذي وضعه مؤسس الدولة, أو الزعيم الحالي. درجته فوق الكتب المُنَزَّلة من عند الله من حيث القداسة والتبجيل. لا يجوز المساس بأحكامه بأي شكل من أشكال التغيير, إلا بعد موافقة الحاكم الحالي أولاً, ثم الحصول على موافقة أكثر من ثلثي أعضاء المجالس النيابية, ثم عرضه على الاستفتاء العام, وهو ما لا يحدث مع أحكام الشريعة السماوية.

4- ***الجيـش:*** لا يجـوز الطعـن فـي قيـاداته لأن ذلـك خيانـة, مهمـا أسـاءوا اسـتغلال مناصبهم. ولا في معاركه لأن ذلك عمالة, وتشكيك في أعز ما تملكه الأمـة –كمـا يصورونه للعامة-, حيث يقول واحد من أشـهر زعمـاء الجماعـات الإسـلامية: (إن مؤسستنا العسكرية مؤسسة متماسكة جيدة التنظيم, وكلنا حريصـون علـى هـذا التماسك وهذا التنظيم, وهي قوة وسند للعالم الإسلامي كله, ولابـد مـن الحفـاظ على هذه القوة).

هذا في الوقت الذي تستخدم فيه نفس القـوات فـي محاربـة أوليـاء اللـه وتـدمير الـبيوت الـتي تـؤوي المجاهـدين المخلصـين أو تسـاعدهم, وهـي الـدرع الحصـين للحاكم الطاغية المستبد الذي يريد تحول البلد إلي تركيا علمانية أخرى. ولم يكــن سنداً للأمة الإسلامية في يومٍ من الأيام رغم النكبات والعدوان المتتالي عليها من جميع الملل وأتباع الديانات.

5- ***الرئيس الحالي:*** إذا لم يكن هو مؤسس الدولة وقائد الثورة.

6- وهناك أصنام أخرى مثل ***"الوحدة الوطنية"***, والبـاب مفتـوح أمـام كـل حـاكم يضيف من الأصنام ماشاء.

فإذا أضـيف إلـى ذلـك أن الحريـة حـتى بمفهومهـا الغربـي الحـديث مفتقـدة تمامـاً فـي مجتمعاتنا الشرطية الاستخباراتية, فلا حرية: لا للإعلام, ولا للثقافة, ولا للتعليم, ولا للتعـبير عن الرأي المعارض لرأي الزعيم وأعوانه عبر أي منـبر مـن المنـابر الإعلاميـة الحكوميـة أو المستقلة, بل ولا حتى حرية التبليغ والدعوة.

فبينما يضيّقون على الدعاة المخلصين ويمنعونهم من تبليغ حقائق الدين وأساسـيته عـن طريق الخطابة أو الظهور في أجهزة الإعلام المختلفة, فإنهم يفسحون المجال لكـل مـارق زنديق, أو مفسد كبير لينشر فكره المضلل, أو أصحاب الأهواء والشهوات, ودعـاة الرذيلـة من الأدباء والفنانين وغيرهم, الـذين تلقـى عليهـم هالـة مـن التضـخيم والتبجيـل, ويلقبـون بالألقاب الرّنانة, ويتلقون الأوسمة والنياشين في كل مناسبة قومية!!

لذلك عم الجهل بالأمور التي يجب أن تعلم من الدين بالضرورة.

وكثرت البدع والخرافات, ووقع الناس في كثير من المحرّمات بجهلهم.

وبدلاً من أن تمتلئ قلوبهم وعقولهم بالقرآن والحديث والعلوم النافعـة, حشـيت بالخنـا وحب الشهوات وتوافه الأمور, فأصبحت لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً.

وبدلاً من أن تكون قدوة النشء محمداً صلى الله عليه وسـلم وصـحبه وأفـذاذ الرجـال, صارت القدوة من المغنين والراقصين والممثلين ولاعبي الكرة المحترفين.

بالإضافة إلـي انتشـار البطالـة والأميـة والفقـر والمـرض الـتي تسـقط الأهليـة للارتقـاء بالفكر, والقدرة على اختيار الأفضل بحرية وكرامة؛ كانت النتيجة الحتميـة الهـوة السـحيقة التي انحدرنا إليها.

وقبل أن نتطرق إلى ما نعتقده حكم الشريعة في الديمقراطية, هناك عدة أسئلة ذات مغزى تتعلق بقضية الحاكمية والأصنام التي طرحناها تحتاج لفك رموزها والتفكير العميق فيما تهدف إليه تلك الأسئلة.

وأترك الإجابة للقارئ على أن نطرح الإجابة عنها في الجزء الثاني إن شاء الله.

1- أهل قرية استخدموا مجموعة من الحراس لحمايتهم وأنعامهم وأراضيهم من اللصوص والذئاب واعتداء القرى المجاورة التي بينهم وبينها خصومة وثأر.

ورغم الجفاف الشديد الذي صيّر معظم الأراضي بوراً, ونفوق غالبية الحيوانات جوعاً, والضنك الذي يحياه أهل القرية فإنهم آثروا أن يقتطعوا من أقواتهم ويشاركوا في تكاليف استخدام هؤلاء الحراس بحثاً عن نعمة الأمن.

إلا أن هؤلاء الحراس استغلوا الموقف أسوأ استغلال, فتركوا مجموعة من اللصوص والقتلة من أبناء القرية يعيثون فيها فساداً تحت سمعهم وبصرهم.

فإذا طالبهم أهل القرية بالقيام بواجبهم والدفاع عنهم, تعللوا بنقص عددهم وطلبوا زيادته, وطالبوا بشراء أسلحة إضافية لهم, مع رفع رواتبهم ومكافآتهم حتي يستطيعوا الصمود والتضحية!

فإن رفض أهل القرية تنفيذ تلك المطالب أو تباطؤوا في تلبيتها أوعز هؤلاء الحراس إلي حراس القرية المجاورة فيشيعون أنهم سيغزون القرية الأولى, ويقومون باستعراض القوة على الحدود بين القريتين, حتي يسرع أهل القرية بإجابة المطالب كاملةً دون تلكؤ, خوفاً من الغزو الخارجي, والعار الذي سيلحق بهم إن هزموا أمام أعدائهم, وينسون مآسي الداخل.

ولم يكتف الحراس بذلك بل زادوا من سطوتهم فصاروا هم الذين يحددون طريقة اختيار العمدة, وكيفية وشكل إدارة الشئون العامة للقرية بما يحقق مصالحهم.

فماذا ترون في هؤلاء الحراس: هل هم أمناء يستحقون البقاء في وظائفهم؛ أم أنهم خونة للأمانة؟

وهل يستجيب أهل القرية لمطالبهم التي تزداد بزيادة قوتهم وعددهم إلي ما لا نهاية؛ أم يستبدلونهم بمجموعة من أشداء أهل القرية المخلصين المؤمنين؟

وإن أصر هؤلاء الحراس على عدم تغيير نظامهم وسلوكهم, وتدخلهم في كامل شئون القرية, والبقاء في وظائفهم بالقوة؛ فهل يقاتلهم أهلها ويتحرروا من عبوديتهم لهم؟ أم يستسلمون لهم ويرضون بالأمر الواقع فيظلون في دائرتي الذل والفقر؟

2- ما الفائدة من تلك الجيوش الجرارة التي ينفق عليها عشرات المليارات سنوياً وهم أُسدٌ علينا وفي الحروب -مع اليهود والنصارى والهندوس وغيرهم- نعامٌ؟!

ولو اكتفينا بخُمْس عددهم مثلاً وربيناهم على الجهاد وحب الاستشهاد كما كان سلفنا الصالح, أفلا يستطيعون الدفاع عن أراضينا وإخافة عدونا, فنوفر أكثر من

نصف الميزانية التي تنفق عليهم ونوجهها للبناء والتعمير, وحل المشـاكل الاقتصـادية الطاحنة التي تخنقنا؟!

3- وما الفائدة من شراء أسلحة جديـدة سـنوياً بمئـات الملايين أو مليـارات الـدولارات ونحن لم نستخدم المخزونة لدينا, وربما لم نتدرب عليها حتى نأتي بأخرى أكثر منهـا تطـوراً؟! ومـن هـو المسـتفيد الحقيقـي مـن هـذه الصـفقات سـواء مـن الـداخل أو الخارج؟

4- هل القوة الحقيقية في نوعية السلاح أم في اليد التي تمسكه والقلب الذي يحركها؟ وهل أغنى عن الفرس والروم عددهم الهائل وعتادهم المتطور –آنذاك- أمـام الفئـة المؤمنة قليلة العدد والعتاد من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين؟
ولو كانت العبرة بالعدد والعتـاد: فلمـاذا يقاتـل أطفـال فلسـطين وشـبابها اليهـود بالحجـارة والعمليـات الاستشـهادية, رغـم أن اليهـود لـديهم مـن ترسـانات الأسـلحة النوويــة والبيولوجيــة وأســلحة الــدمار الشــامل مــايكفي لإبــادة المنطقــة بكاملهــا, ويعربدون في كل مكان من الدول المجاورة ولا تجرؤ تلك الـدول ذات العـدد والعتـاد على رد العدوان اليهودي؟

5- لو كان فرعون -لعنه الله- وحده بـدون جنـوده وملائـه, هـل كـان يجـرؤ علـى ادعـاء الألوهية, ويقسم الشعب إلى طوائف يستضعف منهم من يشاء؟
وهل أهلك الله فرعون وحـده أم أهلـك معـه جنـوده رغـم أنهـم كـانوا مستضـعفين لا يجرؤون على مخالفة أمره؟
وهل هم معه في النّار أم هو وحده فيها وهم في الجنة؟
وماذا كان الواجب عليهم إن أرادوا النجاة من هذا المصير الأسود؟
والذي يحب قادة اليهود والنصارى أو مدّعي الإسلام من كبار المفسدين من رؤسـاء وحكام الدول المسماة –زوراً- إسلامية ويطيع أوامرهم؛ هـل يحـب أن يحشـر معهـم ويلقى الله على دينهم, لقوله صلى الله عليه وسلم: "المرء على دين خليله", وقـوله صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب".

6- صاحب مزرعة كبيرة عنده قطيع من الغنم, وجد يوماً جرو ذئب جميل المنظر فظنه جرو كلب حراسة فقد أمه, فأخذه ورباه على أمل أنه إذا كـبر قـام بحراسـة القطيـع من الذئاب والضواري.

ثم فوجئ الرجل في يوم من الأيام بالجرو الذي صار ذئباً يختطف إحدى الغنيمات الصغيرات ويفتك بها, فلما طارده فر إلي مكان قريب بفريسته, ثم عاد الذئب في الليل ليبيت مع القطيع كما كان يفعل كل ليلة.
فأخذ صاحب المزرعة يفكر وهو في حيرة من أمره! كيف يفعل ذلك وقد ربيته وكنت أغدق عليه بالعظم وبقايا اللحم؟!
فهل أطرده من المزرعة ولا أسمح له بالعودة إليها؟! .. ولكنه قد يعود إليها بدافع الانتقام برفقة الذئاب الأخرى, وهو يعرف مسالك المزرعة ومداخلها فيساعدهم على التسلل خفية ليفتكوا بالقطيع بأكمله!!
فهل أتركه مع محاولة تغيير طباعه وتهذيب أخلاقه؟!
ولكن هل يمكن تغيير فطرته التي جُبِل عليها, خاصة بعد أن تلوث فمه بالدم الحرام؟
أم أقتله وأكفي نفسي والقطيع شره, وأبحث عن كلب حراسة معلّم بدلاً منه؟
فبماذا ننصحه؟ .. **وهل تجدون شبهاً بين هذه القصة والواقع السياسي للمسلمين وحكامهم؟**

7- من هم أئمة الكفر الذين أمرنا الله بقتالهم؟ وإذا كان هناك من يدّعي الإيمان ممن يحكمون المسلمين ولكنه يتصف بصفاتهم ويرعى الكفر والفسوق والعصيان ويحمي أساطينهم, أفلا تنطبق عليه هذه القاعدة؟
وإذا كان أبو بكر الصديق والصحابة الكرام رضي الله عنهم قد قاتلوا الذين فرّقوا بين الصلاة والزكاة, وأقروا بقبول بقية شرائع الإسلام؛ فما الحكم فيمن فرّق بين الدين والدولة والشريعة بكاملها والحكم؟

8- وإذا ادّعي أحد الإسلام وتلفظ بالشهادة وصلى الصلاة, ثم بدّل بقية الشرائع وأفسد في الأرض وسن القوانين التي تحلل ما حرّمه الله وتحرّم ما أحله الله, وحارب أولياء الله؛ هل يقبل ادعاؤه الإسلام ويعامل معاملة المسلمين؛ أم أنه منافق أو مشرك أو كافر على حسب مخالفته لقواعد الإسلام وأساسياته؟

9- إذا كان من يقف حجر عثرة في سبيل سعادة الأمة وعودتها لمجدها, وانتشار دعوتها في ربوع العالمين فيخرج الناس من الظلمات إلى النور, إذا كان من يفعل ذلك ويخدم أعداءها بكل ما أوتي من قوة من جلدتنا ويتكلم بلساننا؛ أفلا نقاتله ونقتله وإن كان أقرب النّاس إلينا كما فعل أمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجرّاح رضي الله تعالى عنه؟

الباب الرابع
خطـورة التصـويت أو الانتمـاء للأحـزاب العلمـانية أو المتاجـرة باسـم الديـن

والآن وقبل أن نتعرض للمزالق والمحـاذير الـتي قـد يقـع فيهـا مـن يـدخل فـي لعبـة الديمقراطية من المسلمين الطيبين الذين يظنّون أنها الطريق الأسلم للتغيير فـي ظـل المعطيات الحالية, نحاول إيضاح بعض النقـاط حـول حكـم الشـرع كمـا فهمنـاه, لنفتـح الباب أمام العلماء وطلاب العلم ليقولوا كلمتهم بعد التفكيـر برويـة وحياديـة بعيـداً عـن الأحكام المسبقة, أو الانغلاق على رأي واحد لا يقبل محاورة الآخرين.

أولاً: كيف يمكن الجمع بين الإيمـان بـأن اللـه هـو الواحـد الأحـد المتفـرد بالحاكميـة, والديمقراطية التي تدّعي أن الشعب هو الذي يتولى حكم نفسه بنفسه؟!

- وإذا كان الله سبحانه وتعالى لا يقبل معه شـريكاً فـي الأمـر؛ فكيـف بمـن يجعـل الأمر كله للشعب وليس لله؟!
- فإن اختار الشعب –حقيقةً أم زوراً- عدم تطبيق أحكام الشـريعة, والتحـاكم إلـي الدستور الإنجليزي أو الأمريكي, أو استحداث دستور جديد يجمع بين الأمرين معاً الشريعة الإسلامية والدساتير الوضعية التي يسمونها (شرعية), فلا اعتراض على رغبة الشعب, ولتكن الدولة علمانية!

يقول صلي الله عليه وسلم: (من لم يحمد الله على ما عمـل مـن عمـلٍ صـالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله. ومن زعم أن الله جعل للعباد مـن الأمـر شـيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه) –رواه ابن جرير-.

وطبعاً إذا اجتمعـت الشـريعة والشـرعية فـي دسـتور واحـد, فالغلبـة للشـرعية إذا اختلفـا فـي مسـألة مـن المسـائل, تطبيقـاً للقاعـدة: (فمـا كـان لشركآئهم فلا يصل إلـى اللـه, ومـا كـان للـه فهـو يصـل إلـى شـركآئهم, سـاء مـا يحكمون) –التوبة 136-.

إننا بمجرد عرض الشريعة على الاستفتاء الشعبي نكون قد أوقعنا أنفسنا والمسلمين في دائرة الهلاك؛ لأن من يقول: "نعم للشريعة فقط" دون شراكة من أي نوعٍ للقـوانين الوضعية, وحتمية التنفيذ دون تعديل ولا تأجيل فذاك هو المؤمن.

وأما من رفض تطبيق الشريعة جملةً وتفصيلاً, وقدح في أحكامهـا وصـلاحية تطبيقهـا في العصر الحاضر فذاك الكافر.

وأما من أراد أن يجمع بين الشريعة والشرعية (القوانين الوضعية), فقد أشرك وجعل لله أنداداً, سواءٌ كان ذلـك جهلاً منـه أم بعلـم, لأن ذلـك ممـا يجـب أن يُعْلَـم مـن الـدين بالضرورة.

ولعل التساؤل حول قبول تطبيق أحكام الشريعة يعادل استفتاح الصلاة بدلاً من التكبير بصيغة الإقرار: "الله أكبر" بالتكبير, بصيغة الاستفهام: "آلله أكبر؟", فهل تقبل تلك الصلاة؟ وهل يعتبر المتسائل مسلماً؟

إن قبول التحليل والتحريم من الدساتير الوضعية وإطاعة البشر في ذلك شرك بالله, لأن الذي يحلل ويحرّم هو الله سبحانه وتعالى؛ فمن أحل ما حرّمه الله أو حرّم ما أحله, فقد جعل نفسه نداً لله, وادّعى الربوبية.

والذي يطيعه فقد عبده من دون الله كما أوضحه صلى الله عليه وسلم لسيدنا عدي بن حاتم رضي الله عنه من أن سبب كفر من كفر من بني إسرائيل أن أحبارهم ورهبانهم أحلّوا لهم ماحرّمه الله, وحرّموا عليهم ما أحله لهم, فأطاعوهم في ذلك.

يقول الله تعالي في الحديث القدسي: "إني خلقت عبادي حنفآء فجآءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم" –رواه مسلم-.

ويقول تعالى في القرآن الكريم: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكذب, إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاعٌ قليلٌ ولهم عذابٌ أليمٌ), ففوق الخسران وعدم الفلاح في الدنيا, فالعذاب الأليم ينتظرهم في الآخرة.

وكيف يدّعي الإيمان من لا يرضى بالله حكماً؟! وكيف يدّعي الحب من يطيع غير سيده وخالقه ومولاه؟!

يقول الله عزّ وجلّ: (قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم, والله غفورٌ رحيمٌ * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) –آل عمران 31-32-.

ويقول عزّ من قائل: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في~ أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً).

<u>وإذا كان لسيد من السادة عبد من العبيد, لا يطيع سيده في أمر من الأمور –أي يردها كليةً-. أو يطيع بعضها ويرفض البعض. أو يؤمر بشيئ فيرفض التنفيذ حتى يراجعه: فإن كان على هواه أطاعه, وإن كان على غير ذلك رفضه, أو فعل الذي يراه هو صواباً.</u>

<u>فهل يعتبر هذا عبداً ومالكه سيداً؟! ولله المثل الأعلى.</u>

يقول تعالى (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيءٍ وهو كلٌ على مولاه أينما يوجهه لا يأتِ بخيرٍ, هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيمٍ؟).

(ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسونَ ورجلاً سلماً لرجلٍ هل يستويان مثلاً؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون).

ففي قبول العضوية لأي حزبٍ من الأحزاب العلمانية أو القومية أو التي لا تطبق شرع الله على الجميع, يكون العضو العادي في حالة يرثى لها, لا يدري من يطيع ومن يرضي: فقادة الحزب وكوادره العليا كلهم سادة تجب طاعتهم على اختلاف أهوائهم, هذا على المستوى الداخل.

أما على المستوى الدولي: فمن شروط الالتزام بالديمقراطية الالتزام بالمواثيق والمعاهدات الدولية "الشرعية الدولية"؛ لذا فهناك: الولايات المتحدة بملكيتها للمنظمات الدولية, وحلف شمال الأطلسي "الناتو", والاتحاد الأوروبي, وحلف الدول المستعمرة بريطانياً سابقاً (الكومنولث), ومنظمة المؤتمر الإسلامي, وصندوق النقد الدولي, والبنك الدولي, وغيرها.

كل هؤلاء آلهة لابد من الانحناء لرغباتهم, والإذعان لقراراتهم مهما كانت مجحفة وتضيّع حقوق المسلمين.

<u>وهنا لابد من الإشارة إلى خطورة الزّج باسم الإسلام في العملية الانتخابية والديمقراطية عامةً, تحت مسميات متعددة, ورفع شعارات إسلامية خلال الحملة الانتخابية.</u>

فالأحزاب الإسلامية –وهذه هي القاعدة- لن تنجح في الحصول على الأغلبية المطلوبة, وعندها سيقال إن الشعب رفض الإسلام وأراد العلمانية, والشعب من ذلك براءٌ, لأن الانتخابات لا تمثل القاعدة العريضة فعلياً.

والذي صوّت منهم لصالح الأحزاب العلمانية أو اليسارية أو اليمينية؛ فإنما كان ذلك خوفاً من السيف والجلّاد, أو جهلاً بحكم الإسلام فيما فعلوه.

والذين لم يدلوا بأصواتهم -وهم الأغلبية الساحقة– أرادوا رفع الحرج عن أنفسهم والتعبير "سلبياً" عن رفضهم بالامتناع عن التصويت, ولكن هذا لا يعفيهم من المسئولية لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس, مما يعطي الفرصة للحكومة لتملأ البطاقات الانتخابية نيابة عنهم لصالحها.

ونسب التصويت المتدنية, وعزوف الجماهير عن المشاركة في العملية الانتخابية برمتها أمر معروف للجميع.

وحتى لو فرض أن أحد الأحزاب الإسلامية استطاع الحصول على الأغلبية المطلوبة وتشكيل الحكومة فسيكون كمن يملك ولا يحكم, وسنشرح ذلك بالتفصيل عند الكلام عن الديمقراطية في تركيا.

لذا يجب أن ننأى بالإسلام عن المزايدة, وأن يدّنس اسمه ورسمه خلال الحملة الانتخابية من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمرئية في صورة الاستهزاء بالعلماء واللحية والحجاب والعمامة وغيرها عن طريق الهَمَل ومدّعي الفن!

والله سبحانه وتعالى قدّم الكفر بالطاغوت على الإيمان بـالله لمـن أراد الاستمسـاك بالعروة الوثقى في قوله تعـالى: (فمـن يكفـر بالطـاغوت ويـؤمن بـالله فقـد استمسـك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميعٌ عليمُ).

وإعطاء الحاكمية للشعب هو إيمان بالطاغوت وليس كفرٌ به.

وكذلك شرع الله القتال (حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين كلـه للـه), فمـن لـم يجعـل الأمر كله لله فقد أراد الفتنة أو ارتضاها, وكلاهما منافٍ للإيمان.

والأمر الأشد خطراً في الزّج باسـم الإسـلام فـي "اللعبـة السياسـية" والـدخول فـي تحالفات سياسية لتشكيل حكومة أقلية أو حتى الجلوس في المعارضة, ذلـك الأمـر هـو تمييع قضية الولاء والبراء, بالكف عن التشهير بقادة الأحـزاب المخالفـة للشـريعة ونقـد برامجها ورموزها المخالفة للإسلام, وإلا فإنهم لن يدخلوا معنا فـي تحـالف, أو التعـرض لإسقاط العضوية ومواجهة المحاكم بتهمة التشهير والطعن, والكفـر بالنظـام العلمـاني للدولة.

والله سبحانه وتعالى ينهى عن الركون لهؤلاء في قوله تعالى: (ولا تركنوآ إلـى الـذين ظلموا فتمسكم النّار وما لكم من دون الله من أوليآء ثم لا تنصرون).

ولا ولايتهم وطلب النصرة والعون منهم: (يآأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أوليآء تلقون إليهم بالمودة, وقد كفروا بمـا جـآءكم مـن الحـق), (يآأيهـا الـذين ءامنـوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أوليآء إن استحبوا الكفر على الإيمان, ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون).

وأنّى لمن أراد أن يقيم الشريعة الإسـلامية ويطبقهـا فـي حيـاة النـاس أن يتحـالف أو يستنصر بألد أعدائها الذين يعملـون ليلاً ونهـاراً لنشـر الرذيلـة والفسـاد بيـن المـؤمنين, ويمكرون ليصدوا عن سبيل الله؟! حتى وإن زعموا أنهم مسـلمون يصـلّون ويعتمـرون, والله يبين حكمهم ويفْصل في أمرهم: (إنَّ الذين كفروا بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ ويريدون أن يتخذوا بيـن ذلـك سـبيلاً؛ أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً أليماً).

فأولئك الذين يريدون أن يجعلوا أحكام الشريعة عضين فيؤمنـون ببعضـها فيطبقـونه, ويكفرون ببعضها فيهملونه, ويريدون أن يتخذوا بين الشريعة والدساتير الوضعية الأخرى سبيلاً, لا يخرجون عن تلك القاعدة الرّبّانية.

إن الإسلام يفرض علينا أن نعادي الكفر والظلـم والفسـوق والعصـيان والابتـداع فـي الدين, وأن نفضح سوءاتها والقائمين عليها حتى لا يغتر بهم أحـدٌ مـن المسـلمين فيفتـن بهم, أو من غير المسلمين فتصده عن سبيل الله, أو يظن أنهم يمثلون الإسـلام, ويجـب أن نعلنها مدويةً كما أعلنها سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء صلى الله عليه وسلم والذين آمنـوا معه لقومهم: (إنّا برءآوا منكم وممَّا تعبدون من دون اللـه كفرنـا بكـم وبـدا بيننـا وبينكـم العداوة والبغضآءُ أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده).

فهل ياترى يستطيع سالك درب الديمقراطية تطبيق هذه القاعدة؟

إن الديمقراطية تفرض على منتهجها أن يتعامل بأدب ولطف مع الآخرين مهما كانت نوعياتهم.

ومجاملتهم ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم, واستخدام الألفاظ التي تناسب كل قيادي منهم في الساحة على حسب مكانته وسلطته, لا على حسب خلقه ودينه.

لذا في التعامل مع الرئيس –أياً كان نوعه أو جنسه- لابد أن يقال سيدي الرئيس أو سيادة الرئيس, والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تقولوا للمنافق سيِّدٌ, فإنَّه إن يك سيِّداً, فقد أسخطتمْ ربَّكمْ عزَّ وجلَّ" –رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ-؛ فكيف إنْ كان كافراً عندنا من الله فيه برهان؟!

وهل إذا تم توجيه الدعوة لأحدٍ من قادة الأحزاب الإسلامية المنضوية تحت لواء الديمقراطية للقاء الرئيس أو الزعيم الذي لا يشك أحدٌ في عمالته وردته, هل يرفض ذلك على أساس عدم جواز الدخول إلى مساكن الذين ظلموا أنفسهم, وأنه لا يستطيع القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

أم أنه سيمضي الوقت الطويل في دهان النعلين, واختيار أبهى الحلل, والوقوف أمام المرآة لضبط الهندام والمنظر العام استعداداً لأخذ الصور مع "السيد" الرئيس؟

ويستقبله بالبشر والترحاب وعظيم الابتسام, ويشعر بالفخر والشرف لمجرد أن تواضع سيادته واستقبله وسمح له بالجلوس معه؟

يقول صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجلُ يلقى الرجلَ فيقول له: ياهذا اتق الله ودع ما تصنع, فإنه لا يحل لك. ثمّ يلقاه من الغد وهو على حاله, فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض, ثم قال (لُعِنَ الذين كفروا من بني~ إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصواْ وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه, لبئس ما كانوا يفعلون ... إلى قوله فاسقون) ثمّ قال: "كلا والله لتأمرنَّ بالمعروف, ولتنهنَّ عن المنكرِ ولتأخُذُنَّ على يد الظالم, ولتأطرنه على الحق أطراً, ولتقصرُنَّه على الحق قصراً, أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعضٍ, ثم ليلعنكم كما لعنهم" –رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن-.

ومن أطرف ما سمعته تعليق أحد المشايخ -رحمه الله- علي الذي يتأنق ويتزين استعداداً لمقابلة الرئيس أو المسئول الكبير, حيث يقول له: "يابني هل أنت ذاهبٌ إلى "البيت الحرام" حتى تأخذ زينتك كما أمر الله؟! إنك ذاهبٌ إلى "بيت الحرام"؛ فعلام التزين وأنت لا تتزين إذا ذهبت إلي البيت الحرام أو غيره من المساجد للقاء الله؟!" انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

ونحن نضيف: "أَوَليس الذي تتزين للقائه, الذي أهان وسجن وعذّب عشرات العلمـاء من إخوانك لمجرد مخالفتهم له في الرأي, أو جهرهم بكلمة الحق, أو وقوفهم الموقـف الذي يحتمه عليهم دينهم وعلمهم تجاه قضايا المسلمين والدفاع عن حقوقهم؟!

أَوَليسَ الذي ملّكَ البلاد والعباد لأعداء الله, فصرنا عبيداً للأمريكان والطليان؟!

أَوَليسَ الذي حوّل البلد إلى سجن كبير يعـزُّ فيـه أهـل معصـية اللـه, ويـذَلُّ فيـه أهـل طاعته؟!

ومن بين المحاذير والسقطات الـتي لابـد مـن الوقـوع فيهـا للـدخول فـي ائتلاف مـع الأحزاب الأخرى, الإقرار بتعيين من يرشـحونهم أيـاً كـانت صـفاتهم وجنسـهم: رجـل أو امـرأة. طـاهر أم فـاجر. مسـلم أو زنـديق. عـالم أم جاهـل. ونحمّـل أوزارهـم للـدين والشريعة من خلال ربط أنفسنا بهم أمام الرأي العام.

وحتى من داخل الحزب نفسه يتم مراعاة القبلية والعشائرية والشعبية علـى حسـاب العلم والكفاءة والأهلية لتولي المناصب القيادية وذلك على الرغـم مـن علـم قـادة تلـك الأحزاب لحكم الشريعة بعدم جواز ترشيح أحدٍ للمسئولية أو العمل وهناك من هـو أكفـأ وأحق بذلك منه لأن ذلك خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وكذلك من الأمور المستنفرة تزكية النفس, لأن كل حزبٍ بما لديهم فرحـون يظنـون أنفسهم الأكفأ والأخلص والأطهر, والله أعلم بمن اتقى.

ويدخل في ذلك الحرص على الإمارة أو تولي أمر من أمور المسـلمين, لقـوله صـلى الله عليه وسلم: "لن نستعمل على عملنا مـن أراده", وقـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إنكم ستحرصون على الإمارة, وستكون ندامةٌ يـوم القيامـة, فنعـم المرضـعة وبئسـت الفاطمة) –رواهما البخاري-.

أضف إلى ذلك الكبر والعجب, والحسد, وحب الظهـور ... إلـخ مـن أمـراض القلـوب التي تصيب الإنسان الذي تتابعه الكاميرات ووسائل الإعلام لتكتب أقواله وأفعاله وتنشر صوره في كل تلك الأحوال.

الباب الخامس
مزالـق تحت أقـدام الديمقـراطيين

تكلمنا في الباب السابق عن بعض الأخطاء والمنحـدرات الـتي يصـعب تجنبهـا, ولابـد من السقوط فيهـا أو معظمهـا لمـن يتصـدى لقيـادة الأحـزاب الإسـلامية السـالكة درب الديمقراطية.

وفي هذا الباب نتحدث عن العثرات والزلات القاتلة التي تنتظر جماهير تلك الأحزاب, خاصةً التي ترفع شعارات مخالفة لكتاب الله عـزّ وجـلّ وسـنة رسـوله صـلى اللـه عليـه

وسلم, أو التي تدعو إلى القومية والعصبية القبلية وتتاجر بقضايا القبائل والعشائر والعرقيات.

ولعل من أخطر هذه الأخطاء التي قلما ينتبه لها الناس أو يلفت العلماء انتباههم لها ويبينوا لهم خطورتها:-

1- ***<u>التعاون على الإثم والعدوان:</u>*** فالذي يؤيد فرداً من الأفراد أو حزباً من الأحزاب, وهو يعلم سوء طويته ومقصده من ترشيح نفسه في الانتخابات, مشارك لذلك المرشح في الإثم ومعاون له على معصية الله إن أساء استغلال مقعده في المجلس النيابي أو الوزارة, لأن (من دعا لظالمٍ بطول البقاء فقد أحب أن يُعْصى الله), فكيف بمن وافقه ونصره, ودعمه ليعصى الله بنفسه ويدفع الآخرين أو يجبرهم على عصيانه؟

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله) –رواه الحاكم-.

ولذا يجب على من يفعل ذلك عن علم أم فعله عن جهلٍ ثم علم أن ينكر عليهم ويسعى في تغيير المنكر؛ فإن فشل يترك الحزب وإلا فسيشاركهم أوزارهم كاملة من سرقة واختلاس ورشوة وخيانة ... إلخ.

2- ***<u>العصبية الجاهلية:</u>*** تعتمد معظم الأحزاب في الدول المتخلفة أساساً على نشأتها على خلفية عصبية: إما عصبية عرقية, أو عصبية منطقوية, أو عصبية عشائرية, أو عصبية دينية مذهبية ... إلخ.

والكل يستميت في الدفاع عن تلك الراية العصبية التي يدين بالولاء لها, وكل هذه العصبيات في النّار إلا ما كانت "لتكون كلمة الله هي العليا" لقوله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل تحت راية عمّيّة فمات مات ميتة جاهلية".

وهذه العصبية الحزبية أو الجاهلية تؤدي بصاحبها إلي الوقوع في كثير من كبائر الذنوب منها:-

1- **<u>شهادة الزور:</u>** فكل من يؤيد حزباً أو شخصاً ويمنحه صوته ليدخل المجالس النيابية ويمثل الأمة فيها وهو ليس أهل لها, فقد شهد شهادة الزور وهي من أكبر الكبائر لقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله, وعقوق الوالدين, وكان متكئاً فجلس؛ فقال: ألا وقول الزور, ألا وشهادة الزور, فمازال يكررها) –متفق عليه-.

لأن ذلك تعديل لشخص مجروح, وتحسين لشخص مقبوح, وتمكين لفرد مقدوح, لاستغلال المنصب وهو آمن في تحقيق الثراء المحرّم, والكسب غير المشروع, والاستعلاء على الناس بدون حق.

2- **<u>التغاضي عن الأصل والمعدن:</u>** فالأصل في السياسة الحديثة –عامة- والديمقراطية –خاصة- التغاضي عن التفتيش في ماضي الزعامات والقيادات,

وما عُلِمَ من سوء منبت أو تاريخ مشين, أو جهالة أصل ونسب, يُنْسى أو يُنَسَّى؛ وآلة الإعلام الجبارة كافية للتغطية على السوءات, وإظهار الهزائم على أنها بطولات, وتحسين الوجه القبيح.

ولكن المؤمن لا يتغاضى عن الأصل والمعدن, خاصة فيمن يرشحه أو ينتخبه لأنه سيتحمل تبعة هذا الترشيح أو الانتخاب, إنْ قصَّر في هذا الأمر الخطير الذي يتعلق بمصير الأمة.

فالمؤمن مكلف في الأمر المتعلق به شخصياً في مثل قضية الزواج أن يُحْسِن اختيار الزوجة, لقوله صلى الله عليه وسلم: "تخيروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس", فكيف بمن يتعرض لقيادة الأمة ويؤتمن على أعراض المؤمنين جميعاً وأرواحهم وممتلكاتهم؟

فالذي يتقدم لإمامة المسلمين وقيادتهم لابد وأن يكون حسن السمعة طيب المنبت لقوله صلى الله عليه وسلم: "تجدون الناس معادن, خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا, وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهيةً, وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجه" –رواه البخاري-. فأبناء سلالة الخيانة والزندقة وجهالة الأصل لا يؤمل فيهم خيراً, ويجب أن ينحّوا عن التحكم في رقاب المسلمين وأموالهم.

5- **<u>المخاصمة بالباطل:</u>** يقول الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم: (إنّآ أنزلنآ إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بمآ أراك الله ولا تكن للخآئنين خصيماً * واستغفر الله إنَّ الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إنَّ الله لا يحب من كان خوّاناً أثيماً).

وسبب نزول هذه الآيات أن طعمة بن أبيرق وكان من المسلمين سرق درعاً وخبَّأها عند يهودي, فوجدت عند اليهودي, فرماه "طعمة" بها, وحلف أنَّه ما سرقها. فسأل قومه النبي صلى الله عليه وسلم أن يجادل ويخاصم عنه ويبرئه, فنزلت تلك الآيات.

قال صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا بشرٌ, وإنه يأتيني الخصم, فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض, فأحسب أنه صدق, فأقضي له بذلك. فمن قضيت له بحق مسلمٍ, فإنما هي قطعة من النّار, فليأخذها أو ليتركها) –رواه البخاري-.

فمن يدافع عن فرد من الأفراد وينصره وهو يعلم منه موالاة الكافرين والمفسدين ومحبتهم, أو المجاهرة بالمعصية, أو سوء السلوك والأفعال. أو عن حزب من الأحزاب وهو يعلم من دستور الحزب وقانونه الأساسي, وبرنامجه الذي طرحه أنه مخالف لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وشريعته, ويبغي الفساد في الأرض؛ فهذا ممن يخاصم بالباطل, ويشترك في الإثم هو والقائم به سواءٌ.

د- **<u>قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق:</u>**

لعل من أخطر مظاهر التنافس الحزبي والأثـر المـدمّر للديمقراطيـة الزخرفيـة – خصوصاً-, هو وقوع مصادمات مسلحة بين أنصار الأحزاب المتنافسة, وأحياناً سقوط قتلى وجرحى من الطرفين, وهذا من أبشع ما يمكن أن يقع فيه المسلم دفاعـاً عـن باطلٍ -أو حتى ما يظنه حقاً- تجاه أخيه المسلم, لأن الانتماء لحزب منافس أو العمـل لحسابه لا يبيح دم المسلم, إلا إذا انتمى إلي حزب كافر عندنا من الله فيه برهـان, أو فعل ما يستوجب عليه القتل طبقاً لأحكام الشريعة.

قال الله عزّ وجلّ: (ومن يقتل مؤمنا مُّتعمّدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب اللـه عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً), وقال صـلى اللـه عليـه وسـلم: "مـن حمـل علينـا السـلاح فليـس منـا" –رواه البخـاري-, وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: "لـو أن أهـل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم لكبَّهـم اللـه جميعـاً علـى وجـوههم فـي النّار" –رواه الطبراني في الصغير-, وقال صلى الله عليـه وسـلم: "لا ترجعـوا بعـدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ بالسيوف", وقال صلى الله عليه وسلم: "لن يـزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً".

وإذا استطردنا في ذكر الآيات والأحاديث التي تحذر من جريمة قتل النفس المؤمنة بغير حقٍّ فسيخرج الموضوع عن إطاره, ويكفي أن المقتول يأتي يوم القيامة حـاملاً رأسـه فـي يده يقطر دماً, وهو يجرُّ قاتله حتى يسأله ربه: فيم قتله؟ فإن كـانت الإجابـة: قتلتـه لتكـون العزّة لفلان أو للحزب الفلاني, فسيقال له: إن العزّة لله وليست لفلان ويلقـى بـه فـي نـار جهنم". يقول الله جلّ وعلا: "(من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً) ومعنى الآية: من كـان يريد الشرف والمنعة فيجب عليه أن يكتسب العزّة من الله تعالى, فإنها له, ولا تُنال منه إلا بطاعته",ولذا قال صلى الله عليه وسلم: "كل عزٍّ ليس بالله فهو ذلٌ".

سئل أحد الأئمة: من هم سفلة السفلة؟ قال: الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم!!

فهذا المسكين الذي ظلـم نفسـه وأوردهـا المهالـك وبـاع دينـه وآخرتـه بـدنيا غيـره مـن الساسة والمسئولين, وسفك من أجلهم الدَّم الحرام, سيأتي يوم القيامة مفلساً, فلم يكف إفلاسه في الدنيا وشقاؤه وكده فيها, حتى أضاف إليه إفلاسٌ في الآخـرة؛ فقـد قـال صـلى الله عليه وسلم: "أتدرون من المفلس؟" قـالوا: المفلـس فينـا مـن لا درهـم لـه ولا متـاع. فقال: "إنَّ المفلس من أمتي من يأتي بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ, ويـأتي قـد شـتم هـذا, وقـذف هذا, وأكل مال هذا, وسفك دم هذا, فيُعْطى هذا من حسناته, وهذا من حسناته, فإنْ فنيـت حسناته قبل أنْ يقضي ما عليه, أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النـار" –رواه مسلم-.

بينما قادة الحزب وكوادره العليا يرفلون في النعيم ويتمتعون بزهـرة الحيـاة الـدنيا مـن: ملبس ومأكل ومسكن ومركب.

وقف أحد هؤلاء المفلسين في ثيابه المهلهلة ونعله البالية, تُشَمُ رائحة عرقه من بعيد, أمام قصر المرشح لعضوية المجلس النيابي, بعد أن أمضى اليوم بطوله يطوف بالشوارع والميادين يهتف بحياة مرشحه الكبير, وقد استبد به الجوع والعطش, وزاد الامر سوءاً رائحة شواء اللحم المنبعثة من داخل القصر لتغطي على أريج الزهور والياسمين التي كان يراها من بين السياج الحديدي وهو يراقب ما يجري داخل القصر, فأخذ يقارن بين حاله وحال مرشحه, فقال:

"قصرٌ كبير: فوق نهر جرير. وفراش وثير: برود حرير. وطعام وفير: لحم كثير, وخبز فطير. ووجه نضير: فوق شحم قطير. وريح عبير: وقلب سمير".

أما أنا فعندي: "كوخٌ صغير. في زقاق حقير. وفراش حصير. ولحاف قصير. وإزار هبير. وثوب نفير. وطعام عسير: لبن خثير, وخبز شعير. ووجه غبير. فوق عظم ظهير. وريح نكير. وقلب كسير".

ثم استعبر, والتفت فوجد جوقة خارجة من القصر تهتف بحياة المرشح الكبير: "انتخبوا الرجل الزاهد .. نصير الكادحين العابد", فصار خلفهم كما يصير الحمل خلف قطيع الغنم.

هذا حالهم معه في الدنيا لا يدرون به وبمعاناته وجوعه وفاقته, وفي الآخرة سيتخلون عنه ويتبرؤون منه ويحمّلونه وزر نفسه فقد قال الله تعالى: ("حتى إذا ادَّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلآء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار, قال لكلٍ ضعفٌ ولكن لا تعلمون" فالرؤساء يضاعف عذابهم لأنهم أضلوا غيرهم, والأتباع يضاعف عذابهم لأنهم بتقليدهم الأعمى كانوا سبباً في ازدياد ضلال الرؤساء وتماديهم في الغي") –تفسير وبيان <الأعراف 39>.

وفي آية ثانية: (وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفآء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مُغْنون عنَّا من عذاب الله من شيىء قالوا: لو هدانا الله لهديناكم, سوآءٌ علينا أجزِعنا أم صبرنا ما لنا من محيص).

وفي آية ثالثة: (ولو ترى~ إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعضٍ القول يقول الذين استُضْعِفوا للذين استكبروا لولآ أنتم لكنّا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوآ أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جآءكم بل كنتم مجرمين).

وفي آية رابعة: (وإذ يتحآجون في النّار فيقول الضعفآء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا نصيباً من النّار * قال الذين استكبروآ إنّا كلٌّ فيهآ إنَّ الله قدْ حكم بين العباد).

هـ - **<u>الإفساد بعد التولي:</u>**

يقول الله عزّ وجلّ: (فهل عسيتم إنْ توليتم أن تفسِدوا في الأرضِ وتقطِّعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم اللهُ فأصمَّهم وأعمى أبصارهم).

فكم من الأحزاب التي توالت على حكم بلاد المسلمين عن طريق الديمقراطية المزعومة فأفسدت في الأرض ودمرت حاضر المسلمين وثرواتهم وكبَّلتهم

باتفاقيات ظالمة, وأدخلتهم في تحالفات دولية مدمِّرة, بحيث لا تستطيع أي حكومة مستقبلية التخلص منها أو التملص من تبعاتها, ثم تخرج تلك الحكومات بالفضائح المالية والأخلاقية والجرائم الجنائية, ثم نفاجأ بعودة أعضائها مرة أخرى عن طريق الانتخابات إلى المجالس النيابية, ومن ثَمَّ المشاركة في الحكومة الجديدة!! سواء عن طريق خوض الانتخابات تحت راية نفس الحزب القديم, أو الانضمام لحزب آخر, أو الترشيح كمستقلين –صورياً- والانضمام للحزب الحاصل على أكثر عدد من المقاعد, ومن المؤكد أنه الحزب الحاكم.

وكأن النّاس الذين انتخبوهم مرة ثانية قد عميَتْ أبصارهم وبصائرهم, ومُحيت ذاكراتهم, ومُسِخت عقولهم حتى يقبلوا بعودتهم مرة ثانية لينوبوا عنهم ويحكمونهم؟!

والذي يتحمل الوزر كاملاً هم أولئك الذين صوَّتوا لصالحهم ونصروهم خلال الحملة الانتخابية.

الباب السادس
ماذا يمكن تحقيقه عن طريق الديمقراطية؟

قبل أن نستعرض التطبيق الديمقراطي والوضع السياسي والاقتصادي في بعض الدول الإسلامية الكبيرة التي طبقت الديمقراطية "الصورية"؛ نستعرض أولاً ما يمكن تحقيقه عن طريق الديمقراطية إذا لم تحصل الأحزاب الإسلامية أو الإصلاحية –كما تسمى بعض الأحزاب-, على الأغلبية المطلقة –كما هو الواقع وهي القاعدة-, ودخولها في ائتلاف سياسي لتشكيل الحكومة من مركز الضعف بحكم كونها تمثل الأقلية منفردة.

فما هي الحقائب الوزارية التي ستحصل عليها تلك الأحزاب ياترى؟

إن رئاسة الوزارة ووزارات الدفاع والداخلية والخارجية والمالية –أي ما يسمى بالوزارات السيادية- أبعد من أن تسند إليهم كما يبعد عنهم الكوكب الدري الغابر في السماوات العلى.

فمعنى ذلك أن يستمر المجتمع تحت سيطرة نظام الحكم (الشرطية الاستخباراتية), والالتزام بدستور الدولة العلماني الشركي, والذي يطلق يد الحاكم في الهيمنة الكاملة على مجريات الأمور, والجيش يحميه ويدعمه.

وأن تظل السجون والمعتقلات ومراكز الاستجواب عامرة بساكنيها من المسلمين المستضعفين والمغضوب عليهم من النظام, بدون جريرة ولا تهمة ولا تحقيق عادل ولا حماية من العذاب الذي لم تشهده البشرية في تاريخها الطويل ومعلوم للجميع.

وأن يظل النفاق هو السائد في علاقاتنا الخارجية, والدخول في تحالفات واتفاقيات ضد مصالح المسلمين ومجتمعاتهم دون القدرة على الاعتراض.

واستمرار التعامل بالرِّبا والمكوس وغيرهما من المعاملات المالية المحرّمة ليحل علينا سخط الله, ونستمر في محاربة الله وحربه علينا, لقوله تعالى: (يآأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الرِّبآ إن كنتم مؤمنين * فإن لَّم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسولهِ, وإنْ تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون). وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من أكل درهماً من ربا فهو مثل ثلاثة وثلاثين زنيةً, ومن نبت لحمه من سحت فالنّار أولى به) –رواه الطبراني-, (وقد سمي المال الذي يكتسب من وجه حرام سحتاً لأنه يمحق الحلال ويستأصله).

فإن قيل: إنَّ وزارات التعليم والثقافة والإعلام هي المسئولة عن تشكيل الرأي العام وتكوين الشخصية والعقلية وتغيير سلوكيات المجتمع وقيمه, وهي لا تقل أهمية عن الوزارات السيادية لو أحسن استغلالها.

فنقول: إنه من المستبعد أيضاً إسناد هذه الوزارات للمسلمين الصالحين.

وحتى لو أسندت إليهم: فهل يمكن إيقاف هذا السيل الجارف الهدّام من كتب وبرامج ثقافية وعلمية تروج للملل والأفكار الشاذة والمنحلة؟

وهل سيتم تكميم أفواه علماء السوء والمنظِّرين لتلك الأفكار والمعتقدات حتى لا يدعو لباطلهم؟

وكيف تتم السيطرة على وسائل الإعلام والنوادي الليلية ودور السينما والمسرح وأندية الفيديو والإنترنت وغيرها للقضاء على العهر الذي تروج له, وأجهزة الأمن والحكومة تدعمها وتحرسها وتنفق عليها بعشرات الملايين في أفقر الدول؟

وهذه الجيوش الجرّارة ممن يسمون بالفنانين والأدباء والشعراء الإباحيين وأعمالهم كيف سيتم التصرف معهم؟

وهل سيسمح داخلياً أو خارجياً بهدم تلك الأصنام البشرية أو الحجرية التي انتشرت في جسد المجتمعات المسلمة كالسرطان؟

بل لو أعطينا وزارات الحج والأوقاف والدعوة والعدل؛ وهي أضعف الوزارات وأقلها أهمية من حيث التصنيف السياسي؛ هل نستطيع محاربة الفرق المرتدة والصوفية المنحرفة, أو هدم المقابر التي تعبد من دون الله؟

أو منع إقامة الموالد والأعراس للأضرحة والأولياء, والحج إلى أضرحتهم بدلاً من حج بيت الله الحرام, خاصة أن الدول تحرسها, ويشارك كبار المسئولين فيها, كما يحدث في باكستان –مثلاً- حيث يحضر رئيس الوزراء والوزراء والمحافظون "عرس" كبار الأولياء ومراسم إلباس قبورهم الثوب الجديد, وتستفيد الدولة من هذا الشرك الأكبر الصريح بوضع صناديق للتبرعات أمام هذه الزيارات وتقتسم الغنيمة مع القائمين عليها ووجهاء المنطقة؟

وهل نستطيع معاقبة من يتطاول على شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم, أو يستهزئ بالقرآن والسنّة, ويطعن ويشكك في أحكام الشريعة وصلاحيتها للتطبيق في

مجتمعاتنا ممن يتسمون بأسمائنا ويدّعون الإسلام, أو حتى ممن لا يدينون بديننا كالنصارى, أو المرتدين كالقاديانية والحبشية, أو المشركين كالبريلوية؟

وهل يمكننا فرض القوانين الإسلامية وأحكام الشريعة على القبائل والعشائر والمجموعات ذات السطوة والشوكة, وإلزامهم باتباعها والتحاكم إليها وترك العمل بقوانينهم ومحاكمهم التي تذكِّرنا بالـ "الياسق"؟

وهل يمكننا إيقاف العمل بالقوانين الوضعية في المحاكم, وإقامة الحدود على الجميع دون تفرقة بين شريف ووضيع وأمير وخفير؟

بل هل نستطيع القضاء على حملات التنصير في بلادنا, والتخلص من تلك المؤسسات الغربية التي تتستر برداء الإنسانية والخدمة الاجتماعية لتنصِّر أكبر عدد من المسلمين, حتى تحول المسلمون إلى أقلية في كثير من الدول الأفريقية والفقيرة, أو يصل إلي سدة الحكم رئيس نصراني لدولة مسلمة؟

وهل .. وهل .. أسئلة كثيرة لو استطردنا فيها فلن يكفي مجلد لذلك, ونترك القارئ ليطلق لنفسه العنان في التفكير بهذه الطريقة؛ ليدرك استحالة التغيير المنشود عن طريق الديمقراطية.

ولذا نقول بكل ثقةٍ ويقينٍ: إنه لا خير في الديمقراطية أبداً, ولو كانت خيراً لما ساقته الدول الاستكبارية والاستدمارية ليطبق في بلادنا بالقوة العسكرية أو بالضغط السياسي والاقتصادي والإعلامي, ولما ادّعت أمريكا أنها غزت العراق للقضاء على الحاكم الديكتاتور وإقامة نظام ديمقراطي مسالم مكان نظامه؛ فهل يعقل أن أمريكا تريد الخير للمسلمين؟!

ونقول انظروا لأي شعب من الشعوب التي أخذت بالديمقراطية سواء العريقة منها أم الحديثة؛ ستجدون أن الخط البياني للنمو الاقتصادي والازدهار الحضاري والثقافي, والالتزام بالقوانين التي تحمي حقوق الإنسان وتساوي بين جميع أتباع الدولة آخذ في الانحدار السريع, في الوقت الذي يتصاعد فيه خط البطالة والفقر والتخلف الثقافي وزيادة الفوارق بين طبقات المجتمع, والسقوط الروحي والديني المريع.

هذا بالإضافة إلى ارتفاع معدل الجريمة والإدمان وتعاطي المخدرات, والتفكك الأسري, وارتفاع نسبة الطلاق وانخفاض معدل الزواج, وانتشار الأمراض الجنسية الخطيرة نتيجة الممارسات الجنسية المحرَّمة؛ كل ذلك نتيجة مباشرة للديمقراطية.

ولو كانت الديمقراطية خيراً لأفادت أهلها أولاً, ولكنها كالسحر الذي لا يفيد الساحر, حيث يعيش ويموت في أفقر حال وأسوأ مآل, ولو نفعه سحره فأغناه لنفع غيره من العباد.

بل حتى على المستوي السياسي والتطبيق الديمقراطي: ضعفت الأحزاب القوية التي كانت تنادي بمبادئ وقيم قريبة من مبادئ وقيم المجتمعات المحافظة, وظهرت على حسابها الأحزاب اليسارية واليمينية المتعصبة وذات الأفكار والميول الشاذة والمنحلّة.
وانشقاقات في داخل الأحزاب الكبيرة.
وحكومات هشة تسقط باستقالة وزير.
ورئيس الدولة من حزب ووزيره الأول من حزب آخر.
وفضائح للممارسات غير المشروعة وغير الأخلاقية التي يمارسها الساسة للوصول عن طريق الانتخابات لسدة الحكم كما حدث في الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وغيرها.

إنَّ من أهم متطلبات الديمقراطية كما فهمنا من المنظِّرين لها, ارتفاع المستوى العلمي والثقافي لدي غالبية أفراد الشعب. وكذلك ارتفاع مستوى المعيشة حتى يستطيع المواطن العادي ممارسة حقه السياسي بكل حرية واستقلالية وكرامة, وهذا مفتقد في بلاد المسلمين –إلا ما ندر- الذين يموت الآلاف منهم يومياً بسبب الجوع ونقص التغذية, والامراض الفتَّاكة التي تطحنهم لا يملكون ثمن الدواء لها. وازدياد حالات الانتحار للشباب والرجال في مقتبل العمر يأساً من تحسن الحال أو عدم القدرة على توفير أدني متطلبات الحياة.
فماذا تفيد الديمقراطية في هذه الحالة؟!
إن الفقير الجائع لا يريد بطاقة انتخابية ليمارس بها حقه الطبيعي في التصويت, وإنما يحتاج إلي الخبز وما يأتدم به.
والمسكين الذي لا يستطيع أن يقف على قدميه ليواجه مشاكل الحياة لا يحتاج للقوائم الانتخابية ليتوكأ عليها, بل يحتاج للمال الذي يتكسب به ويغنيه وأهله عن سؤال الناس!
والذي يتقلب على الحصير البالي من شدة البرد, لا تبعث لوحة الدعاية الانتخابية الدفء في أوصاله فيستطيع النَّوم العميق, ولكن يبعثه لحاف أو غطاء صوفي ثقيل.
والأمر المؤسف أننا لا نعتبر بتجارب الآخرين خاصة في تركيا والجزائر, وقد رأى العالم أجمعه ما حدث فيهما من انقلاب عسكري سافر على الاختيار الشعبي ممثلاً في حزبي الرفاه بقيادة نجم الدين أربكان والجبهة الإسلامية للإنقاذ.

فمهما أعطى المسلم من مواثيق وتعهدات كتابية وشفهية بالسير على خطى الزعيم مؤسس الدولة, والالتزام بدستور الدولة العلماني والقوانين الوضعية, وضمان حقوق المرأة والأقليات الدينية والعرقية .. إلخ.
وتبرأ من الجهاد بالسلاح والأحزاب الجهادية التي تُتَهم من قبل الغرب بالتطرف والإرهاب, ومن نموذج أفغانستان وحكومة الطالبان وثقافة الكلاشنكوف؛ مهما فعل ذلك وأكثر منه فلن ترضى عنه القوى الكبرى أبداً,

وسيشككون في كل قرار يتخذه وسينتهزون أول فرصة للإيعاز للحاكم بإقالة الحكومة وحل البرلمان, والاكتفاء –ذراً للرماد في العيون- بشجب هذا الانقلاب السافر على الديمقراطية! ومطالبته بسرعة العودة إليها وإجراء الانتخابات.

وصدق الله القائل: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملَّتهم).

ولهذا لم يفد نجم الدين أربكان القسم باحترام دستور الدولة العلماني, والسير على خطى الزعيم اليهودي الهالك كمال أتاتورك, ولا شفع للجبهة الإسلامية ذلك التأييد الشعبي الهادر, وحصْدها لأصوات الناخبين حصداً.

كما أن الوقت ليس له قيمة عندنا, فنحن نعوِّل على الانتخابات القادمة بعد فترة قد تطول أو تقصر –على حسب هوى الزعيم-, فإذا حان أوانها لم نستطع مجاراة منافسينا في الحملة الدعائية قبل إجراء الانتخابات, لأن قوام تلك الحملة: الوعود الكاذبة, الأماني المعسولة, الرشاوى, شراء الذِّمم (ما يسمى الهورس تريدنج), نشر الأكاذيب والافتراءات ضد الخصوم, اغتيال الناشطين من أنصارهم ومرشحيهم, التوسط لإطلاق المجرمين والمحاربين لله ورسوله من ينتمون للقبائل والعشائر استرضاءً لهم وشراء زعمائهم بشتى الوسائل ... إلخ.

وفوق هذا وذاك فنحن نعلم سلفاً أن التزوير في الانتخابات أمر حتمي, وإصدار قوانين –تفصيل- منظِّمة للانتخابات ولتوزيع المقاعد وعددها بما يخدم مصلحة النظام والحزب الحاكم أمرٌ بدهيٌ, والتدخل السافر من أجهزة الأمن ورؤساء اللجان الانتخابية لصالح الحزب الحاكم أمرٌ واقعيٌ, رغم كل ذلك ندخل الانتخابات!!

وفي كل مرة نصرخ ويرتفع العويل بأننا سرقنا في وضح النهار, وعلى مرأى ومسمع من المراقبين الدوليين والجميع, وزورت الانتخابات, ونقدِّم العرائض "البيضاء والصفراء" لتأكيد هذا التزوير والتلاعب؛ ولكن لابد من التسليم بالنتيجة وقبول الهزيمة صاغرين.

وننتظر للانتخابات القادمة لعل وعسى!!

وهكذا تمر السنون والأيام

ويشتد ساعد الكفر والطغيان

وتغرق البلاد في الديون وسندات الائتمان

وتربى أجيالٌ وأجيالٌ على الكفر والفسوق والعصيان

ونحن مشغولون بعدِّ المقاعد التي حصلنا عليها, وهي كما قال جحا: "واحدة قايمه وواحدة نايمه".

إن محاولة شغل الناس بقضية الديمقراطية والأمة تعاني أزمات داخلية طاحنة: اقتصادياً وروحياً وأخلاقياً وعلمياً, وأخطاراً خارجيةً محدقة؛ كمن يكون لديه مريض في غرفة العناية المركَّزة قد أعلن الأطباء وفاته "معملياً أو باصطلاح الأطباء اكلينيكياً", أي أن

قلب المريض توقف عن النبض وضخ الدم لبقية الأعضاء, فتغير لذلك لون القدمين والرجلين واليدين, وبردت حرارتها, فجاء من يطالب الأطباء ببذل أقصى جهودهم في تدفئة الرجلين ورفع حرارتها, وتدليكها حتى تعود للونها الطبيعي؛ بدلاً من القيام بتدليك القلب وإجراء التنفس الصناعي والتدابير الطبية اللازمة لإنقاذ حياة المريض الذي سيموت "فعلياً" وليس "معملياً" فقط إنْ استحابوا له.

الباب السابع
نماذج لديمقراطية المسلمين المزخرفة

والآن نستعرض في عجالة نتيجة التطبيق الديمقراطي في بعض الدول الإسلامية الكبيرة التي تمثل ثقلاً من حيث عدد السكان, أوالمكانة وسط دول المسلمين. ونقصد بها مصر والجزائر واليمن وبنجلاديش وتركيا وباكستان –كمثال-, لتبين لنا صدق ما ذكرناه في الباب السابق "منطقياً وعقلياً": من عدم جدوى الأخذ بالنظام الديمقراطي في تغيير واقع المجتمعات الإسلامية, وأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

أولاً: مصر:

بدأ المشوار الديمقراطي المعاصر زمن السادات بتأسيس "الحزب الوطني الديمقراطي" برئاسته. والسماح بقيام أحزاب سياسية –غير دينية-.

وبالطبع انضم علية البلد لحزب الرئيس –ولا زالوا-, وظلت الأحزاب المعارضة مهمشة, رغم الأحوال العامة للدولة التي تسير من سيئ إلى أسوأ: سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً.

فـ"مصر" التي كانت ترعب أعداء الله بقوتها العسكرية والبشرية, وقيادتها للأمة ثقافياً وعلمياً واقتصادياً, صارت على أيدي "أبطال الثورة", و"حماة الديمقراطية", تستجدي المساعدات من دول الكفر, وتتلقى التهديد تلو الآخر من الكيان الصهيوني بتدمير السد العالي, ومن ثمَّ إغراق مصر في مياه النيل المتجمعة خلفه منذ عشرات السنين, ورغم ذلك تقود حملة الخيانة والركوع للصليبيين واليهود في فلسطين, وتساهم في تدمير الأمة بالحملة الإعلامية المنحطة التى تبثها عبر القنوات الفضائية لإزالة ما يكون قد تبقى لدى المسلمين من أخلاق ورجولة.

ولن نتكلم بالتفصيل عن المظاهر العامة التي تدل على ذلك, لأن المتابع للوضع الداخلي والخارجي لا يحتاج لمجهود كبير ليعلم إلى أي هاوية سحيقة يقاد الشعب المصري ومن خلفه الأمة الإسلامية –إلا أن يتغمدهم الله بلطفه ورحمته-.

والمضحك أن الزعيم الأوحد "المنتخب ديمقراطياً", لم يجد الرجل المناسب من بين سبعين مليوناً من البشر ليعينه نائباً له طوال فترة حكمه المستمرة منذ 22 عاماً, إلا ابنه جمال الذي تجري الترتيبات على قدم وساق لتنصيبه خلفاً لأبيه -إن أهلكه الله-, وذلك حتى لا تنقطع الخيرات, والبركات التي يسبح فيها الشعب المصري على يد "مبارك" وآله.

ولا يفوتنا أن نذكر بعض تلك البركات:

- ارتفاع نسب البطالة والأمية والفقر لتشمل غالبية الشعب المصري.
- تفشي الأمراض الاجتماعية نتيجة الحملة الإعلامية المدمِّرة للقيم والأخلاقيات والدين, وارتفاع نسبة العنوسة (عدم الزواج) بين الجنسين لتشمل ثلث الشعب المصري.
- الضنك الذي يحياه المصريون نتيجة انخفاض الأجور لعامة الشعب –إلا أفراد الجيش والشرطة والأمن المركزي-, والارتفاع المستمر لأسعار السلع الخدماتية والغذائية لتدهور سعر صرف الجنيه المصري أمام الدولار الأمريكي الذي يتم استيراد كل شيئ به, من 3.5 جنيه مصري/دولار واحد قبل ثلاث سنوات فقط, إلى 7 جنيهات/دولار سعر الصرف الحالي.

ورغم الهشاشة التي تمثلها المعارضة إلا أن الرئيس لا يفتأ كل فترة بحل البرلمان والدعوة لإجراء انتخابات عامة جديدة, حتى ولو كان السبب "التخلص من بعض نواب المعارضة المشاغبين" كما قيل سابقاً!

ثانياً: الجزائر:

شهد العالم كله -ما بين مؤيد وصامت- الانقلاب العسكري السافر على "الديمقراطية" في الجزائر أوائل التسعينيات من القرن الماضي. ووجد العسكر -حكام الجزائر الفعليون- الدعم الكامل من فرنسا ودول جنوب أوروبا "خاصةً", والنصارى واليهود "عامةً".

وكانت الجزائر للديمقراطيين المسلمين -مع تركيا- عبرة لمن يعتبر, ودرساً مفاده: أن الكفر لن يسمح بقيام "دولة إسلامية حقيقية" عن طريق الديمقراطية أبداً, حتى ولو كانت أصغر دولة في أقصى بقاع الأرض.

والآن بعد عقد من الزمان شهدت خلالها الجزائر مذابح بشعة على أيدي العسكريين الجزائريين وعملائهم الذين اندسوا وسط الجماعات المسلحة, راح ضحيتها أكثر من مائة ألف جزائري, معظمهم من خيرة شباب الجزائر خلقاً وعلماً وديناً, لا زال النظام الجزائري يدَّعي "الديمقراطية", ويقوم بإجراء انتخابات رئاسية وعامة على هذا الأساس!

ولازال السفاح "العمّاري" وزمرة الجنرالات منذ ذلك التاريخ يهدمون ما تبقى من دين وخلق لدى المسلمين.

ولا يختلف الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر عما ذكرناه عن مصر كثيراً.

ثالثاً: اليمن:

كانت اليمن بالنسبة للديمقراطيين الإسلاميين من الدول الواعـدة, حيـث كـان "التجمـع اليمني للإصلاح" منافساً قوياً لحزب الرئيس, كفرسـي رهـان. وجـاءت الانتخابـات الأولـى لتدعم تلك التوقعات والآمال, حيث حصـل "التجمـع" علـى عـدد كـبير مـن مقاعـد مجلـس النوَّاب, وفاز زعيمه "الشيخ عبد الله الأحمر" برئاسة المجلس.

ثم توالت الانتخابات العامة وظل "التجمع" في تقهقر مستمر, مـدّعياً فـي كـل مـرة أن الحكومة تتلاعب في نتيجة الانتخابات وتسن من القوانين "التفصيل" ما يمكنهـا مـن حصـد الأصوات. وكم سقط من القتلى من الطرفين خلال الحملات الانتخابية؛ ومع ذلك لـم يتخـل عن "الديمقراطية" ولا الخـط السـلمي مـع الحكومـة, حـتى جـاءت آخـر الانتخابـات لتضـع "التجمع" في آخر القائمة بـ 40 مقعداً فقط من بين مقاعد المجلس الـ 301 مقعد!

ولم يكتف "الرئيس الديمقراطي" بذلك, بل كافأ المملكة العربية السعودية عن طردهـا لأكثر من مليون يمني من السعودية والاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم إبان حرب الخليج, لوقوف "الرئيس الديمقراطي" اليمني في صف العراق عند احتلالـه للكـويت, كافأهـا بـأن تنازل لها عن خمس مدن يمنية كانت تحتلها السعودية منذ زمان.

وألحق العار بالمسلمين "عامة" واليمنيين "خاصة" عندما رضي بالهزيمـة صـاغراً أمـام القوات الأرتيرية الصليبية عندما احتلت الجزر اليمنية التي تتحكم في مضـيق بـاب المنـدب عنـد مـدخل البحـر الأحمـر مـن الجنـوب, والـديمقراطيون المسـلمون يراقبـون وهـم يسترجعون!

والآن لا شغل للقـوات اليمنيـة إلا محـو الإسـلام ومطـاردة المسـلمين بـدعوى مكافحـة الإرهاب.

رابعاً: بنجلاديش:

الوضع الاقتصادي والاجتماعي والديني والخلقي في بنجلاديش وهي ثـاني أو ثـالث دولـة إسلامية من حيث تعداد السكان لا يسر حبيب, ولا يخفى على أحد.

أما الوضع السياسي فهو أسوأ حالاً, وهو الذي يؤدي بالتبعية إلى زيادة التدهور في جميع نواحي الحياة, حيث توجد بعض الأحزاب الهامشية الصغيرة الـتي لا قيمـة لهـا ولا وزن؛ أمـا اللاعبان الأساسيان فهما حزبان تحكمهما امرأتان! تتبادلان الكرسي كل فترة لا تزيـد عـن أشهر معدودة يتدخل بعدها الرئيس "الصوري" لحل البرلمان والدعوة لعقد انتخابات عامـة جديدة!

وهاتان المرأتان هما "خالدة ضياء" و"حسينة واجد", تتنافسان على السـلطة منـذ أكـثر من عقد من الزمان بصورة متكررة.

حيث تفوز "خالدة ضياء" في الانتخابات العامة وتشكل الحكومة, فيقوم حزب "حسينة" وأنصـارها بإقامـة التظـاهرات العارمـة لأتفـه الأسـباب. وإشـاعة الفوضـى وإثـارة الغوغـاء للإقدام على تدمير الممتلكات العامة والشخصية.

والدعوة للإضراب العام عن العمل في قطاعات الدولة لفترات طويلة مما يسبب خسائر مادية بملايين الدولارات في كل مرة, في الوقت الذي تعد في الدولة من أكثر دول العالم تخلفاً وفقراً.

وتستمر تلك الإضرابات, وتستمر حملات التخريب والتدمير حتى يضطر الرئيس إلى إقالة الحكومة, وحل المجالس النيابية والدعوة لعقد انتخابات عامة جديدة في ظل حكومة مؤقتة.

ثم تجرى الانتخابات التي تكون نتيجتها الحتمية فوز الحزب المعارض بزعامة "حسينة واجد" وتشكيلها للحكومة الجديدة, لتبدأ رئيسة الوزراء المخلوعة "خالدة ضياء" ممارسة نفس الدور وبنفس الطريقة دون حذف أو تعديل, وهكذا ... دواليك!!

خامساً: تركيا:

لكم يقطر القلب دماً على حاضرة الخلافة الإسلامية التي فتحت معظم أوروبا وكانت تخشاها أقوى الامبراطوريات لعقود من الزمان ثم أصبحت الآن دمية بأيدي الغرب الصليبي ودولة اليهود في فلسطين يفرضون عليها من القوانين ما شاءوا, وترزح تحت سلطان حفنة من العسكريين العلمانيين المجرمين الذين يفرضون كفرهم على ذلك الشعب المسلم, وغيروا التقاليد والأخلاقيات والقيم, ويقفون حجرعثرة في طريق العودة الصحيحة للشعب التركي للإسلام!!

لقد توالت على رئاسة الحكومة في تركيا عدة أحزاب سياسية خلال فترة قصيرة من الزمان, ثم خرجت كلها بفضائح مالية وأخلاقية لقادتها, مع ترسيخ هيمنة العسكر على الحكم.

والنتيجة أن الاقتصاد التركي تدمَّر, والديون تمثل أرقاماً فلكيةً, في بلدٍ يفتقد لمصادر القوة الاقتصادية. ولم يعد لدى تلك الحكومات من أملٍ إلا ربط تركيا بالاتحاد الأوروبي مهما كان الثمن, ومهما كانت التنازلات التي تقدم استرضاءً للشركاء الأوروبيين الذين يتفننون في إذلال الحكومات التركية والخروج بمطالب جديدة كلما اشتدت مطالبتها بقبول عضويتها في الاتحاد.

ونظرة على ما حققته الأحزاب الإسلامية من خلال الانخراط في سلك الديمقراطية توضح بجلاء استحالة التغيير المنشود عن طريق الديمقراطية هناك.

فكلنا يذكر حزب الرفاه ونجم الدين أربكان وما حدث له ولحزبه من انقلاب عسكري سافر رغم ما قدمه من تنازلات تمس العقيدة الصحيحة في الصميم, وكان قد اضطر لتشكيل حكومة ائتلافية مع الأحزاب العلمانية فكانت الحكومة كجسد نصفه أحسن ما أنت راءٍ, ونصفه الآخر أقبح ما أنت راءٍ, وظن أربكان أن ذلك سيشفع له عند الغرب وعند العسكر ولكن هيهات هيهات.

والآن وقد وصل إلى سدة الحكم منفرداً "حزب العدالة والترقي" المحسوب على الأحزاب الإسلامية, ورغم مرور فترة كافية على تولي تلك الحكومة للسلطة إلا أن الوضع السياسي والاقتصادي والديني –كما كان متوقعاً- لم يشهد أي تغيير يُذْكَر.

فالاتفاقيات التي وقعتها الحكومات السابقة ويدعمها الجيش بكل قوة أفقدت الحكومة الجديدة أي قدرة على المناورة وحرية التصرف؛ ولذلك لا نعجب كثيراً من عدم استطاعتها حل قضية ارتداء المرأة المسلمة للحجاب في الجامعة وفي أماكن العمل, لأن ذلك يخالف قوانين ودستور الدولة العلماني!

فهذه مسألة تافهة إذا قيست بعظائم الأمور التي أقرتها الحكومة خوفاً من السيف والجلاد, والتي كان أبرزها موقف الحكومة التركية من العدوان العسكري والاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق منذ البداية.

فقد وافقت الحكومة التركية "المسلمة" على السماح للقوات الأمريكية الغاشمة باستخدام الأراضي والمطارات التركية في غزو العراق, إلا أن المجلس النيابي التركي رفض هذا القرار بأغلبية ضئيلة فأوقف تنفيذه.

وكان أردوجان قد ظهر على شاشات التلفاز بعد تصويت البرلمان بالرفض ليحذر العراق من سوء تفسير هذا القرار, وأنه لابد أن يرضخ تماماً لعملية التفتيش المذِّلة بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل, وكأنه أشد "أمركة" من جورج بوش وتوني بلير!!

في الوقت الذي لا يستطيع أن يطالب الكيان الصهيوني في فلسطين -الذي تربطه بتركيا اتفاقيات دفاع مشترك وتعاون عسكري واقتصادي وثقافي ومائي وثيق- لم يستطع أن يطالب اليهود بوقف مذابحهم ضد إخواننا المسلمين في فلسطين وضرورة رضوخهم التام لقرارات الأمم المتحدة والاتفاقيات الدولية الخاصة بمعاملة الأسرى والمدنيين وحقوق الإنسان أسوة بما طالب به العراق!

ثم وافقت الحكومة على إرسال قوات تركية إلى العراق قوامها 10000 جندي لدعم القوات المحتلة التي تواجه مقاومة باسلة وعمليات متنامية كماً وكيفاً, توقع عدداً كبيراً من القتلى والجرحى في صفوف القوات المحتلة, وهو ما لا يتحمله الجيش الأمريكي الذي انهارت معنوياته تماماً, ولا الشعب الأمريكي الذي بدأ يتململ ويطالب بمحاسبة الإدارة الأمريكية, واعتذارها رسمياً عن اتخاذ قرار الغزو بعيداً عن الإجماع الدولي المعارض.

إلا أن عدم موافقة كثير من الدول المحيطة بالعراق على السماح بانتشار القوات التركية هناك, ومعارضة الغالبية العظمى للشعب العراقي لذلك, والهجوم على مقر السفارة التركية في بغداد, أجبر الحكومة التركية على التراجع عن قرارها لحين تقييم الموقف من جديد!

هذا على المستوى الخارجي؛ أما على المستوى الداخلي فلا يزال الاقتصاد في حال تدهور مستمر, ولازالت تجارة الرقيق الأبيض والبغايا تمثل عنصراً ومصدراً أساسياً من مصادر الدخل.

ولازال الفساد المستشري في جميع مناحي الحياة وخاصة الإعلامية شاهد للعيان يتحدى أي جهود قد تحاول بذلها الحكومة؛ التي يقف لها الجيش بالمرصاد ويتحين الفرصة للإطاحة بها.

سادساً: باكستان:

بدأ التطبيق الديمقراطي الحقيقي –كما يدَّعون- عام 1988 عندما تولت بنازير بوتو زعيمة حزب الشعب رئاسة الحكومة في 16 نوفمبر من هذه السنة, وسط هالة من التمجيد والتهليل الدولي كأول رئيسة وزراء في العالم الإسلامي, وتلميع إعلامي لها كنصيرة للفقراء, ومدافعة عن حقوق الإنسان والمرأة, ومحاربة للفساد والبيروقراطية, وهيمنة العسكر على الحكم.

ثم أقيلت وزارتها بعد 22 شهراً فقط من الحكم بتهم ثلاث: الفساد, وسوء الإدارة, ومخالفة الدستور.

ولكنها كانت قد استطاعت هي وأفراد أسرتها وزوجها وأفراد أسرته وشركاؤهما الثراء الفاحش واستنزاف موارد البلاد خلال تلك الفترة الوجيزة, فانطبق عليهم قول الله عزَّ وجلَّ: (ومن النّاس من يعجبك قوله في الحياة الدُّنيا ويُشِهدُ الله على ما قلبه وهو ألدُ الخصامِ * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهْلِكَ الحرث والنَّسل, والله لا يحبُ الفسادَ)!

ثم جاء نواز شريف وحزبه "الرابطة الإسلامية" للمرة الأولى للسلطة في 6 نوفمبر 1990 بسياسة لصالح الرأسماليين والإقطاعيين, وسلك نفس المسلك, ثم لما اشتد الخلاف بينه وبين رئيس الدولة حول سلطة الرئيس في إقالة الحكومة وحل البرلمان أقاله الرئيس في 26 أبريل 1993, ثم تدّخل الجيش وأجبر الاثنين على الاستقالة بعد فترة حكم استمرت أقل من ثلاث سنوات زادت فيها ثروة نواز شريف الشخصية بنسبة 800% بينما زادت في خلال عشر سنوات بما فيها تلك الفترة بنسبة 3600%.

ثم عادت بنازير بوتو للحكم مرة ثانية في 19 أكتوبر 1993, ثم أقيلت للمرة الثانية في 5 نوفمبر 1996 بنفس التهم الثلاث وأضيف إليها: نشر ثقافة وقيم فاسدة في المجتمع, وفشل الحكومة في معالجة مشكلتى البطالة والتضخم, وزيادة الضرائب بشكل كبير, وانتهاج سياسة اقتصادية فاشلة أدت إلى ارتفاع القروض والائتمانات التي حصلت عليها وأعضاء حزبها والمنتفعين من حكمها من البنوك ومراكز التمويل الحكومية حتى وصلت إلى 140 مليار روبية (قرابة 5 بلايين دولار).

ثم يعود نواز شريف مرة ثانية للحكم بعد انتخابات ع ام 1997 التي حصل فيها حزبه منفرداً على أكثر من ثلثي مقاعد البرلمان, حتى وقع الانقلاب عليه من قبل رئيس الجيش آنذاك والرئيس الحالي الجنرال برويز مشرف في أكتوبر عام 1999, وانتهى الأمر بإبعاد

نواز شريف وأفـراد عـائلته إلـى إحـدى الملاذات الآمنـة الـتى تعـد لأمثـاله مـن السياسـيين الفارين أو المنفيين حيث يتمتعون بعيشة الملوك رغم أنهم كانوا يستحقون الإعدام!

وللدلالة على مدى الانهيار الاقتصادي الذي حدث في باكسـتان علـى أيـدي "الحكومـات الديمقراطية", نذكر أن سعر صرف الدولار بالنسبة للروبية الباكستانية ارتفع من 19 روبية للـدولار الواحـد عـام 1988 إلـى 41 روبيـة عـام 1997 ثـم إلـى 60 روبيـة عنـد الانقلاب العسكري عام 1999.

ويذكر أنَّ عدد سكان باكستان الآن 145 مليون نسمة يعتمد 80% منهم بشكل مباشـر على الزراعة كمصدر وحيد للدخل؛ يعانون أشد صور الابتزاز من قبـل الجمعيـات الزراعيـة والبنوك المحلية والإقطاعيين وكبار التجار, ولذا فإن 60% من أفراد الشعب يعيشون تحت خط الفقر.

وفي الوقت الذي تخصص فيه الحكومة 30% من الميزانية العامة للجيش البالغ تعـداده نصف المليون فقط؛ فإنها تخصص أقل من 3% للتعليـم, و 2% للقطـاع الصـحى والصـحة العامة للشعب كله!

وليت جميع أفراد القوات المسلحة يتمتعون بمعاملة متساوية في الحقـوق والامتيـازات لكانت نسبة كبيرة من الشعب الباكستاني تتمتع بحياة رغيدة, ولكن المستفيد الحقيقي من تلك المبالغ الضخمة هم ثلة من الضباط البنجابيين والشيعة الذين يسيطرون علـى القـوات المسلحة, حيث تزداد ثرواتهم في الداخل والخارج, وينافسون الإقطاعيين الكبار في شراء العقارات والأراضي والتجارة وغيرها من أوجه النشاط الاقتصادي.

والآن لنلق نظرة على ما حققه تجمع الأحزاب الإسلامية الرسمية الذي يسمى "مجلـس العمل المتحد" (متحدة مجلس عمل) ويضم ستة أحزاب من بينها حزب "تحريك نفـاذ فقـه جعفرية" الشيعي! الذي خاض آخر الانتخابات العامة التي أجريت في أكتوبر عام 2002.

لقد خرج هذا المجلس صفر اليـدين مـن معركـة تشـكيل القيـادة العامـة للدولـة, حيـث حصل الحزب الموالي للرئيس على أغلبية المقاعد في مجلسي الشيوخ والنوّاب, وبالتـالي رئاسة المجلسين, وعلى تشكيل الحكومة المركزية, وعلى حكم أكبر وأهم ثلاث مقاطعات في الدولة وهي: السند والبنجاب وبلوشستان, بينما لم يحصل مجلس العمل إلا على حكـم إقليم "سرحد" الذي لا يمثل أي ثقل لا من الناحية السياسية ولا من الناحية الاقتصادية.

وهكذا أكد الجنرال برويز مشرف المقولة المشهورة (إنَّ الله يزع بالسـلطان مـا لا يـزع بالقرآن), فقد استطاع بسلطانه وعصـاه السـحرية والحـزرة الذهبيـة الدولاريـة أن يهيمـن على الساحة السياسية, بينما لم يفد مجلس العمل رفعه لشعارات إسلامية وتعهده بالتزام مبادئ الإسلام والقرآن في حكم البلاد.

وهكذا ضاعت أموال المسلمين التي تبرعوا بها دعماً لمجلس العمل خلال الحملة الانتخابية, وتبخرت جهودهم التي بذلوها في الدعاية وتجميع الأصوات لمرشحي المجلس, وأوقاتهم التي ضيَّعوها في متابعة نتائج الاجتماعات المكوكية الماراثونية لقادة مجلس العمل مع قادة الأحزاب الأخرى في محاولة لتشكيل حكومة ائتلافية, ثم باءت كل تلك الاجتماعات بالفشل, لأنه ما كان لهذه الأحزاب التي تدار من الخارج أن تتحالف مع الأحزاب الإسلامية مهما بلغت التنازلات التي ستقدمها الأخيرة.

ولكن المؤسف في كل ما حدث خلال الحملة الانتخابية وما بعدها, هو ذلك التهافت على التحالف أو التنسيق مع حزب بنازير بوتو, أو حزب مشرف, ليقال بعد ذلك أن الطرفين الإسلامي والعلماني وجهان لعملة واحدة!

وبأي وجه نعلن أننا ساعدنا القوميين –أي المتاجرين بحقوق العرقيات والقبائل-, والعلمانيين من أنصار نواز شريف على تشكيل حكومتيهما في إقليم بلوشستان, وأن عليهم الدور في أن يساعدونا على تشكيل الحكومة في تلك المقاطعة؟!

أولاً: هؤلاء لا يعرفون الوفاء حتى يردوا لنا الجميل –إن افترضنا أن ذلك جميل-؛ فهم لا يعرفون إلا ذواتهم ومكاسبهم الشخصية, ولذلك لم يستجيبوا لأنهم يعرفون من أين تؤكل الكتف.

ثانياً: هذا اعتراف صريح بالمشاركة في جرائمهم التى ارتكبوها خلال فترات حكمهم والتي بسببها نبذتهم الجماهير فأسقطتهم في الانتخابات الأخيرة, وهذا بالتأكيد تلويث لسمعتنا وما ننادي به ونرفعه من شعارات.

<u>"إنَّ الغاية لا تبرر الوسيلة", فليس معنى أننا نسعى لتولي السلطة أن نتحالف مع الشيطان –إن لزم الأمر-ونتعامل على طريقة "حمِّلني وأحمِّلك", فنحن لنا قيمنا وأخلاقياتنا التي تتأبى علينا أن ننزلق إلى هذا الدرك.</u>

ماذا كان على "مجلس العمل" لو أعلن من البداية جلوسه في المعارضة بشرف وكرامة طالما أنه لم يحصل على الأغلبية, بدلاً من الدخول في مفاوضات للتحالف مع أحزاب سيئة السمعة فنسيئ إلى سمعتنا؟!

يجب ألا نتشبه بمن قال الله سبحانه وتعالى عنهم: (فخلف من بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى ويقولون سَيُغْفَرُ لنا, وإن يأتهم عَرَضٌ مثله يأخذوه), وإنما يجب أن نكون ممن قال الله سبحانه وتعالى فيهم: (والذين يمسِّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنَّا لا نضيع أجر المصلحين).

فهذه ستة نماذج للديمقراطية في ثلاث من أكبر وأقدم الدول الإسلامية تطبيقاً لها –على ما نظن-, ولن نتطرق لذكر الديمقراطية الزخرفية التي تطبق في بقية دول الشرق الأوسط, ولا مأساة إندونيسيا وغيرها.

الباب الثامن
لماذا نرفض الديمقراطية؟

إننا نرفض الديمقراطية شكلاً ومضموناً ليس لأسباب عقدية فقط, ولا لما ذكرناه سابقاً, ولكن لغيرها من الأسباب وهي كثيرة نذكر منها:-

- أن الديمقراطية جاءت لسد الفراغ الهائل الذي حدث في أوروبا ودول الغرب بعد القضاء على الامبراطوريات والملكيات في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال وغيرها, وحدوث فراغ سياسي كبير, وكذلك القضاء على سلطة الكنيسة ورجال الدين النصارى, حيث كان الملك أو الامبراطور هو الذي يعيِّن الوزراء والمساعدين والولاة والمستشارين وقادة الجيوش ... إلخ.
- فأصبح لزاماً بعد زوال هذا النظام أن يقوم الشعب بنفسه عن طريق ممثليه باختيار من يشغل كل هذه المناصب, بدءاً من الرئيس وحتى عضو المجلس النيابي أو البلدي, فكان لابد لهم من تشكيل الأحزاب السياسية ومن ثم اختراع النظام الديمقراطي.
- أما في بلاد المسلمين فلم يتغير الوضع السياسي فعلياً إلا في دولتان أو ثلاث وباقي الدول تحكمها الملكية الظاهرة أو المستترة (رئيس مدى الحياة يخلفه من بعده نائبه, والآن يورثونها لأبنائهم), وفي الحالتين كل السلطات والصلاحيات بيد الملك أو الرئيس, والمجالس النيابية ما هي إلا ديكور وزخرف مكمل للمسرحية السياسية, والحكومات المنتخبة هي المنفذ لطلبات ورغبات الزعيم ليس إلا.
- ونحن نعجب ولعلكم تعجبون معنا! كيف سارت البشرية هذه القرون الطويلة والأعمار المديدة منذ آدم عليه السلام إلى أن تم هذا الاكتشاف "المذهل" المسمى بـ"الديمقراطية"؟
- وكيف حققت البشرية قبل الديمقراطية من التقدم الحضاري والمدني والمعماري, وخلَّفت من التراث الثقافي والاجتماعي والفني ما تعجز عن تحقيق معشاره أعتى الديمقراطيات الحالية؟
- كيف تم كل ذلك بدون الديمقراطية, وما هي الضرورة لفرضها على الشعوب المسلمة إذن؟!
- إنَّ أساس الحكم في الإسلام أن يوِّحد لا أن يفرِّق. يجمع الأمة تحت قيادة واحدة وراية واحدة. فمن ارتضته الأمة لقيادتها ووضعت فيه ثقتها, من حقه وقد حمل تلك الأمانة الثقيلة أن يختار مساعديه ونوابه ووزراءه وولاته, بالاستعانة بمستشاريه وخاصته وأهل الحل والعقد, وأن يجد الدعم الكامل من جميع أفراد وطبقات الشعب, لا أن تفرض عليه الحكومة فرضاً ومجلس شوراه قسراً, ثم بعد ذلك يعتبر هو المسئول أمام الله ثم الأمة!

- وتطبيق الديمقراطية يزيد الأمة تفرقاً وتشتتاً. ففوق تفرقها الدولي واللغوي والعرقي والمذهبي والقبائلي, جاءت الديمقراطية لتقسِّم الناس إلى شيع وأحزاب "رسميين" يتقاتلون فيما بينهم من أجل الكراسي وعضوية المجالس النيابية.
- والله ينهى عن التفرق ويحذِّر من عاقبته الوخيمة في قوله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم), ويقول تعالى: (منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيَعاً كل حزبٍ لما لديهم فرحون) –الروم: 31-32-.
- ولنا تجربة حية في أفغانستان زمن الاجتياح السوفيتي لأراضيها, عندما أجبرت الولايات المتحدة المهاجرين الأفغان إلى باكستان وهم بالملايين على الانتماء لأحد الأحزاب السبعة التى تم تشكيلها, وعلى رأس كل منها أحد قادة المجاهدين أو العلماء, وربطت استلام المساعدات والإقامة في المخيمات بتلك العضوية, ولعبت دوراً خطيراً في زيادة تجزئة الشعب وإدخال عنصر جديد للتناحر والاقتتال, ما بين حزب وجمعية واتحاد وحركة ... إلخ, ولازالت أفغانستان تدفع ثمنه إلى الآن, وبعد أن كانت تعاني التقسيم العرقي فقط, أصبحت تعاني من الأمرين معاً.
- ثم إن الأصل في المؤمنين هو قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والتعاون على البر والتقوى. لذلك لا يوجد شيئ اسمه حكومة مقابل معارضة دائمة منظمة! فالحاكم أو الحكومة إنْ أحسنوا وجب على الجميع أن يكونوا معهم يداً واحدةً, وأن يعينوهم ما استطاعوا.
- وإن أساءوا وجب النصح والتقويم على حسب التدرج الذي بينته الشريعة الغرّاء وسيرة الخلفاء الراشدين, والأئمة الفقهاء المخلصين, حتى لو وصل الأمر إلى حد تقويم ذلك الاعوجاج بالسيف.
- وكما ذكرنا فإن الديمقراطية الصورية التي تطبق في بلاد المسلمين تعطي الحاكم "الشرعية" في أن يفرض ظلمه وطغيانه باسم القانون والدستور ودولة المؤسسات, وتتحمل الحكومة الوزر دائماً وتتم إقالتها وحل البرلمان كلما أصابت الأمة نكبة من النكبات أو مصيبة من المصائب, والحاكم آمن في قصره يداعب مساعداته أو حيواناته الأليفة التي يقتنيها, وقد يلجأ إلى التخلص من أقرب معاونيه ومستشاريه كما يتخلص من الصافنات الجياد إذا شاخت ولم تعد تصلح للسباق, فالكرسي لا يتسع إلا لشخص واحد.
- وإن أنس فلن أنس صورة الأمين العام للحزب الحاكم في مصر، الذي ظل يشغل المنصب لأكثر من عشرين عاماً, ثم يقف على شاشات التلفاز ليقول بكل ذلّة وانكسار: (نحن جميعاً مثل السكرتارية عند سيادة الرئيس, الذي يقوله

ننفذه), وذلك تعليقاً على الأنباء التي ترددت عن إقالته من منصبه بعد ذلك العمر الطويل من الخدمة المتفانية.

- وكما أن ضحايا التغييرات الوزارية غالباً ما يكونون سيئين ويستحقون التغيير بل المحاكمة, فإنَّ كثيراً ما تحرم الأمة من جهود علماء أكفاء ووزراء موفقين خرجوا نتيجة التغيير الوزاري القسري, كما أن هناك كفاءات لن تدخل الحكومة أبداً؛ إما لاستقلاليتها, أو لانتمائها للمعارضة, والخاسر هو الأمة!!
- كما أن دائرة السرقة والنهب والاختلاس والاستيلاء على المال العام تتسع, لأن كل عضو في المجالس النيابية أو الوزارة يأتي بطاقم جديد يدين له بالولاء والطاعة ومرتبط به, والجميع في سباق مع الزمن لتأمين مستقبل أولادهم وأحفادهم خلال أشهر معدودة تضاف بعدها إلى ألقابهم كلمة "سابق".

- **ولا للديمقراطية** الصورية لأنها تعطى الحصانة البرلمانية لكثير من المجرمين الذين ثبتت عليهم التهم ولكن لا يستطيع أحد محاكمتهم لأن ثلثي أعضاء المجلس على الأقل لم يصوتوا لصالح رفع الحصانة البرلمانية عنهم, وحتى لو رفعت عنهم الحصانة -لأسباب في بطن الحاكم- فإنهم لا يُعامَلون معاملة بقية المتهمين, وإنما تحدد إقامتهم في مستشفى مكيف الهواء أو ما شابه, ويسمح لهم بالخروج لأي أسباب عائلية أو سياسية أو بدعوى الحالة الصحية.

- **ولا للديمقراطية:** لأنها تقتل القيم الفاضلة في المجتمع فالولاءات تباع وتشترى كما تباع أي سلعة, ولذا فإن كل الاقتراعات داخل المجالس تتم بصورة سرية حتى لا تفضح الصفقات التي تمت في الظلام وخلف الكواليس.
- ولو كانت هناك حرية فعلية ونزاهة وصدق مع النفس والآخرين لكانت كل الاقتراعات علنية, يقف كل عضو في المجلس ليقول رأيه أو ينتخب من يريد بكل جرأة وشجاعة, حتى ولو كان مخالفاً لرأي حزبه واختياره, ولكنه التخطيط للتغطية على المنافقين والوصوليين والمرتشين.
- والشعارات الرَّنانة المدوية تُكْتَم أنفاسها وتُبتلع دون ضجيج.
- والكذب والنفاق والدياثة والجبن تصبح ذكاءً وتقدميةً وحنكة سياسية وبعد نظر.
- وأعداء الأمس حلفاء اليوم. وأقوال الكفر والرّدة تؤول على غير وجهها لمجرد التقاء المصالح والرغبة في التحالف.
- والحكمة: (أبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما) هي القانون المطبق من جميع الأحزاب والساسة, فلابد أن يجيد محترف السياسة والديمقراطية: السير على الحبال, والقفز في الهواء, والمحافظة على شعرة معاوية فلا تنقطع مع أحد أبداً.

- وذو الوجهين بل المائة وجه, هـو السياسـي المحنـك والخـبير بالعلاقـات العامـة: (وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنَّا) فالخشوع والخضـوع والصـلاة علـى الرسـول صلى الله عليـه وسـلم, ونقـر الصـلوات المكتوبـات أمـام الحضـور, والكلام عـن حلاوة الدين وضرورة تقنين أحكام الشريعة حتى تطبق في واقع المجتمع.
- (وإذا جآءوكم قالوا ءامنَّا وقد دخلوا بالكفر وهـم قـد خرجـوا بـه, واللـه أعلـم بمـا كانوا يكتمون * وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهـم السـحت, لبئس ما كانوا يعملون).
- وهم من قال فيهم القائل:
- كم من صاحبٍ يلقاك عناقا ويقسم أنه لا يطيق لك فراقا
- يلقاك بوجه أبي بكر وقلب أبي لهب

- **ولا للديمقراطية:** لأن الباطل يصبح فيها حقاً يحتكـم إليـه. فرئيـس الدولـة أو الزعيـم يشـرِّع قـوانين ومـواد ينزلهـا منزلـة الدسـتور, وتعـد فـي نظـر الشـعب والمعارضة باطلة وترسخ هيمنته وسـيطرته علـى الحكـم, ثـم يجـري الانتخابـات العامة استناداً إليها, وتشارك المعارضة في تلك الانتخابات حتى لا تترك السـاحة للحزب الحاكم والأحزاب المتحالفة معه وحدهم. فإذا طالب الأعضـاء المنتخبـون منهم بعد ذلك بتعديل أو إلغاء هذه القـوانين وطعنـوا فـي دسـتوريتها, قيـل لهـم: "أنتم ما جئتم إلى هذا المجلس وأقسمتم اليمـين إلا بهـذه القـوانين, فـإن زالـت زلتم ولا كرامة" واسألوا الباكستانيين عن الـ LFO.

- **ولا للديمقراطية:** لأن داخلها "تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش", فلابد مـن أن يشارك في اللعبة كاملة بكل مرارتها وهي كثير, وحلواها وهي قليل.

فلو صدر قانون بتخصيص مقاعد للنساء في المجالس النيابية, تقـوم الأحـزاب الإسلامية المشاركة في الديمقراطية بترشيح عدد من نسائها حتى تفوت الفرصـة على النسـاء العلمانيـات المواليـات للحكومـة مـن دخـول المجلـس, وفـي نفـس الوقت إثبات أنها تحترم حقوق المـرأة, وتبرئـة السـاحة مـن التحجـر –كمـا يـروج أعداء الله-, وليرى العالم النساء المسلمات متعلمات مثقفات محجبات.

وبذلك نكون قد ابتلعنا الطعم وأخرجنا نساءنا من بيوتهن لغيـر مـا خلقهـن اللـه له, وسمحنا لهن بالاختلاط بالرجال الأجانب, ورفع الأصوات في المجالس العامة, ووافقنا على أن تكون المرأة قيمة على الرجال -وليس العكـس-, ووافقنـا ضـمناً على القوانين التي تسـمح للمـرأة بتـولي الـوزارة والإمامـة العظمـي, أي تطـبيق شعار: "مساواة المرأة بالرجل" من حيث لا ندري ولا نحتسب!

والمفروض في المرأة كما علمنا ربنا من خلال قصة موسي مع ابنة شعيب عليهما السلام أنها (تمشي على استحياء), وكما علمنا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه (نهى اثنتان من أمهات المؤمنين أن ينظرن إلى عبد الله بن أم مكتوم –وهو أعمى-, فقلن: يارسول الله, أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفعمياوان أنتما؟! ألستما تبصرانه؟!") –رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح-.

فكيف للعضوة المحترمة ألا تنظر إلى الرجال وينظرون إليها, وكاميرات التلفاز والصحافة تلاحقها في كل مكان, وتجري معها الحوارات المطولة, لينظر إليها كل أحد ويدقق النظر, فيصرن فتنة للبر, ونهمة للفاجر؟

فنحن لا نُسَرُّ برؤية صور العضوات المحترمات منتقبات لا يرى منهن إلا العيون فوقها النظارات الطبية أو الشمسية. فهذه ليست هي الدعاية المثلى لديننا ولا لتكريم المرأة فيه.

فصلاة المرأة في خدرها أفضل من صلاتها في وسط البيت, وسط صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد, ومن ثمّ فهي أفضل آلاف المرات من صلاتها في قاعة مغلقة في مجلس النواب.

وكيف نستنصر بالمرأة التي وصفها ربها وخالقها أدق وصف وأبينه: (أَوَمَن يُّنشَّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) –الزخرف 18-؟!

وهل أفلحت الدول الكافرة أو حتى المتمسلمة التي اختارت النساء للرئاسة العامة أو رئاسة الوزارة ووصفوهن بالنساء الحديديات حتى نختار من النساء من ينوبون عنّا ويتحكمون في رقابنا؟!

ثم أين هي حقوق المرأة المهضومة في الإسلام حتى تقاتل من أجلها, ويتاجر المتاجرون بمعاناتها ويستغلونها أسوأ استغلال؟!

إن حقوق المرأة ليست هي المهضومة وحدها الآن؛ بل حقوق المجتمع ككل. وحين تساس دول المسلمين بالإسلام, فلن تأخذ المرأة حقها كاملاً وحدها, ولا الأطفال والرجال المسلمون حقوقهم, بل ستأخذها الحيوانات وأتباع الديانات الأخرى الذين يعيشون بينهم كأهل ذمة أو مستأمنون.

فالمفروض أن الرجال هم الذين يقاتلون دفاعاً عن النساء وحقوقهن: (ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها, واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً).

والمصيبة أن الذين يطالبون النساء بالقتال من أجل الحصول على حقوقهن هم الذين بيدهم مقاليد الأمور, وهم الذين نهبوا حقوق الإنسان وانتهكوها, ثم

يطالبونهم أن يقاتلوا الأجهزة والأنظمة التي صنعوها بأيديهم من أجل تلك الحقوق, ولينظروا إليهم في قتالهم الأعزل ضد هؤلاء الوحوش.

كما كان طغاة الرومان في العصور الغابرة يضعون السجناء وجهاً لوجه أمام الأسود الجائعة وسط الحلبة (الأرينا - Arena), بينما يجلسون هم في المدرجات المحيطة بها, ويطالبون السجناء العزّل من السلاح بالدفاع عن حقهم في الحياة, ثم يشربون الخمر ويتمايلون طرباً ونشوةً وهم يرون الأسد يمزق فريسته حية ويقطعها إرباً إرباً!!

أو كما تفعل الدول الاستدمارية الكبرى والطغاة عندما ينهبون ثروات الشعوب ويجيعونهم, ثم يرمون لهم فضلات موائدهم وما يكون قد فسد أو انتهت مدة صلاحيته من الطعام في مخازنهم, ويمتِّعون أعينهم بمنظر الناس يتقاتلون ويصارع بعضهم بعضاً من أجل كسرة خبز أو كيس طعام, وكاميرات وسائل الإعلام تسجل هذه المشاهد المأساوية وينشرونها على أنها عنوان على إنسانية هؤلاء الطواغيت, واستجابة منهم لنداء الضمير!

- **ولا للديمقراطية:** لأنها تفرض علينا أن نحترم حقوق الأقليات الدينية -خاصة النصارى والمشركون كالهندوس وغيرهم-, ونخصص مقاعد لهم في المجالس النيابية ولو كان عددهم لا يتجاوز بضعة آلاف؛ في الوقت الذي لا يُعْطى المسلمون حقوقهم ولا مقعد واحد في المجالس النيابية في الدول الغربية والكافرة حتى ولو كان عددهم بمئات الآلاف أو الملايين, ويعيشون في تلك البلاد منذ عشرات أو مئات السنين وتجنسوا بجنسيتها!

- **ولا للديمقراطية:** لأنها تضيع هيبة الدين وأتباعه وتظهره بمظهر السلبية والاستسلام للأمر الواقع. فأقصى ما يستطيعه المنضوون تحت مظلة الديمقراطية رسمياً للتعبير عن غضبهم واستنكارهم هو الخروج في مظاهرات منظمة بإذن مسبق من الحكومة وفي المكان الذي تحدده لهم.

فيجتمعون ويهتفون ما شاءوا, ويلعنون من أرادوا, ويحرقون الدُّمى, ثم يعودون إلى هدوئهم واستكانتهم بمجرد الخروج من مكان التظاهر, أو انتهاء المهلة المحددة لهم.

وهذا ما أكده قاضي حسين أحمد "أمير الجماعة الإسلامية الباكستانية" في قوله: (قد لا تملك الأحزاب الدينية الباكستانية قوة انتخابية كبيرة, ولكن من حيث تأثيرها في المؤسسات الوطنية المختلفة فتملك خبرة طويلة لممارسة الضغوط الشعبية على الحكومة عبر تنظيم حركات احتجاجية سلمية كبيرة).

ولهذا لم يكن مستغرباً ذلك الاستخفاف الذي تكلم به وزير الإعلام الباكستاني عن الأحزاب الإسلامية الباكستانية, والثقة المتناهية في تصريحه بأن الحكومة تعرف كيف تتعامل مع تلك الأحزاب إذا ماخرجت في مظاهرات ضد الغزو الأمريكي للعراق, وكيف أنها خرجت في مظاهرات عارمة عند الاجتياح الأمريكي للخليج عام 1991 بدون فائدة.

وهذا ما حدث فعلاً بعد بدء الهجوم الصليبي على العراق, حيث خرجت مسيرات ضخمة في جميع المدن الباكستانية الكبرى, ضمت الواحدة منها مئات الآلاف من البشر وكأنه يوم الحشر, ليستمعوا إلى خطب قادة المعارضة وعلى رأسهم قادة الأحزاب الإسلامية, وادَّعى الخطباء أنهم على استعداد للذهاب إلى العراق للجهاد ضد القوات الأمريكية, وطالبوا رؤساء الدول المجاورة للعراق فتح الطريق أمامهم لتحقيق ذلك, بينما كانت القوات الأمريكية على بعد خطوات منهم في أكبر القواعد العسكرية الباكستانية تشن حرب إبادة ضد المسلمين في أفغانستان؛ وكأن الجندي الأمريكي الذي يدَنِّس أرض العراق ويقتل المسلمين هناك غير الجندي الأمريكي الذي يدَنِّس أرض باكستان ويقتل المسلمين في أفغانستان؟!

فالمظاهرات السلمية هي الطريقة الوحيدة أمام الديمقراطيين للتعبير عن الرفض والاستنكار خارج قاعات المجالس النيابي.

أما في داخل المجلس فإن عضو المعارضة بالخيار:

- **إما أن يكون إمَّعةٌ. وإما أن يكون شيطاناً أخرس. وإما أن يكون عاجزاً. وإما أن يكون ذليلاً.**
- لأنه إن شارك في الاقتراعات وأمَّن مع المؤمِّنين على الحق والباطل فهو إمَّعة.
- وإن اكتفي بالسكوت والامتناع عن التصويت فهو شيطان أخرس لأنه سكت عن قول الحق.
- وإن خرج من القاعة أثناء الاقتراع أو للتعبير عن استيائه, أو حتى استقال من المجلس فهذه حيلة العاجز.
- وإن وقف وحده أو مع جماعته القليلة يتحدي التيار الجارف, ويحمِّل نفسه ما لا يطيق, ويسمع ما لا يحب, يكون قد أذل نفسه وحقرها.

وهي صور بغيضة كلها في الإسلام, ولا تقبلها النفوس الأبية.

الباب التاسع

الاختبـــار الأخـــير

يقول الله عزَّ وجلَّ: (ولو أن أهل القرى~ ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السمآء والأرض, ولكن كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون).

ويقول عزَّ من قائل: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ومآ أُنزِلَ إليهم من ربهم –أي القرآن- لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم).

وقبل ذلك الوعد من الله بالتمكين في الأرض: (وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم, وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم, وليُبَدِّلنَّهم من بعدِ خوفهم أمناً, يعبدونني لا يشركون بي شيئاً).

ويقول سبحانه وتعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً, ونحشره يوم القيامة أعمى * قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك ءاياتنا فنسيتها, وكذلك اليوم تنسى).

فلو آمنا واتقينا الله والتزمنا بشريعته وحكَّمنا كتابه, فستمطر علينا السمآء ماءً مباركاً, ينبت الزرع ويملأ الأنهار والعيون بماءٍ عذبٍ زلالٍ, يسقي الإنسان والحيوان وسائر الكائنات الحية.

وسنُخْرِجُ الأرض كنوزها من بترول وغاز طبيعي ومعادن وما الله به عليم.

وسيزول عنا الفقر والقحط والجفاف, وما نحم عنهم من آفات وحشرات وأمراض.

وسيعود للإسلام مجده ويمكَّن للمخلصين في الأرض, وتكون كلمة الله هي العليا, بعد زوال الكفر واندحاره.

وفي المقابل: إن سرنا وراء أهوائنا وشهواتنا, واتَّبعنا المغضوب عليهم من اليهود, والضآلين من النصارى, وطبقنا شرعية الشيطان وتركنا شرعة الرحمن فالمعيشة الضنك في الدنيا, والخسران المبين في الآخرة -عياذاً بالله-.

فهل نضحي بما وعدنا ربنا سبحانه وتعالى به -وهو الحق-, ونستمرئ الذل والهوان والصغار والفقر والحرمان, من أجل إرضاء أمريكا وبريطانيا ودول الكفر فنبيع دنيانا وآخرتنا بدنيا غيرنا؟!

وهل المساعدات الأمريكية أو البريطانية التي تأتينا تزيد عمَّا وعدنا به ربنا, أو تعادله حتى نضحي بما عند الله ونرضى بما عند أمريكا؟! وهذا السؤال لمن يقيس الأمور كلها بالميزان المادي.

وبمناسبة الحديث عن المساعدات الأمريكية نقول: "ما أهون ما تدفعه أمريكا لحكوماتنا من أموال نجسة ملوثة بدماء المسلمين والمستضعفين, وما أعظم ما تحصل عليه من إذلال شعوبٍ منهم بكاملها؟!

إن المساعدات الأمريكية التى تقدم لأي دولة من الدول الإسلامية –مهما تعاظمت- إذا قيست بالنسبة لعدد سكان هذا البلد فلن يصل نصيب الفرد الواحد منهم أكثر من دولارين أو ثلاث دولارات في السنة –هذا لو وزعت نقداً-.

ولكن تلك المساعدات لا تسلم نقداً؛ بل هي مخزون فائض للإنتاج الأمريكي يريدون التخلص منه, خاصة الأسلحة المتخلفة التي عفى عليها الزمان, ومشروعات خدماتية تستهلك الجزء الأكبر من تلك المساعدات على شكل مصاريف إدارية وبرامج تدريبية للموظفين المحليين مع مايلزم من أجهزة ووسائل نقل أمريكية, ومصاريف انتقال ورواتب ومكافآت للخبراء الأمريكان الذين يتولون التدريب, وبعثات محلية إلى أمريكا للتدريب على برامج قديمة ودعائية لا أكثر.

فنجد أن المتبقي ليقدم للشعب فعلياً لا يتجاوز عشرات الآلاف من الدولارات, المفروض أن توزع على عشرات الملايين!!

ولكن أين ثمن الانحياز التام والانبطاح الكامل والاستسلام اللامتناهي للأمريكان, وفتح المجالات الجوية والبرية والبحرية في معظم الدول -التى يدَّعي قادتها الإسلام- للقوات الأمريكية تستخدمها متى وكيف شاءت؟

وأين المساعدات الضخمة التى وعد المسؤولون الأمريكان بها قادة تلك الدول حتى يُوَقِّعوا على وثائق الاستسلام وبيع حقوق المسلمين في البوسنة والهرسك وباكستان وأفغانستان ومصر وغيرها؟!

هذه قصة أخرى ليس هذا مجالها.

وهنا يحق لنا أن نتساءل: إلى متى سنظل نربي أبناءنا وأجيالنا على أن "من لطم خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر", سواءٌ كان اللاطم مسلماً أم غير مسلم, طاهراً أم فاجراً, بحقٍّ أم بدون حق؟

ومتى سنعلمهم أنَّ (النّفسَ بالنَّفسِ والعين بالعين), وأنَّ (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)؟!

وإلى متى سنظل ننظر لمن يسرق أقواتنا ويمنعنا حقوقنا ويتركنا نموت جوعاً, ويخطف أبناءنا ونساءنا, وهو يتمتع بخيراتنا وأرزاقنا؛ فلا ندرك مرتبة الحيوان الذي يكشِّر عن أنيابه إذا أحس بالخطر, أو الدجاجة التي تهاجم كل من يقترب من أفراخها, أو حتى الحمامة الوديعة رمز السلام التي تضرب بجناحها كل من يقترب من عشها وهي راقدة على البيض دفاعاً عنه؟!

وهذا سؤال يحتاج لحل رموزه والتفكير العميق فيما يهدف إليه:

أهل بيت سمعوا صراخاً ينبعث من بيت الجيران, فعلموا أن بعض المجرمين قد عدوا عليهم, ويريدون أن ينهبوا ما بحوزتهم من مالٍ ومجوهراتٍ, ورأوهم يجُرُّون ابنة جارهم الشابة ليختطفوها معهم. وجميعهم مسلَّحون.

فإذا كان أهل هذا البيت لا يملكون إلا قطعة سلاح واحدة, فهل يطلقونها باتجاه المعتدين لعلهم يفرِّون, وفي نفس الوقت لينتبه أهل القرية فيهبوا لنجدتهم؟

أم يجبنون من كثرة عدوهم وعدّته, فيغلقون أبوابهم بالمغاليق, ويطفئون السرج, ويراقبون من خلف النوافذ المغلقة؟

وإذا استطاعت الفتاة المسكينة الإفلات من يد الجناة والوصول إلى بيت الجيران, وسمح لها أحد أفراد البيت بالدخول, وطالب الجناة بتسليمها إليهم ووعدوا بمكافأتهم إن فعلوا ذلك.

فهل يقوم رب الأسرة بتقييد الفتاة وتسليمها لهم؟ أم يرفض أن يبيع شرفه وعِرضه ورجولته فيرفض تسليمها؟

فإن قاتلوه فقُتِلَ فما حكمه: هل يكون قد ألقى بنفسه إلى التهلكة كما يظن جهلة الناس, أم يكون شهيداً؟

ولو جبن فلم يقاتلهم وسلمها لهم هل سيخلَّد بعدها أم ربما تأتيه منيته في نفس تلك اللحظة التى سلمها لهم فيها؟

وهل الشهيد في الإسلام الذي يُقْتَلُ في ميدان القتال ضد الكفار فقط, أم هناك أصناف أخرى من الشهادة؟

وإذا كان سبحانه وتعالى قد أوجب علينا إيواء المشرك إن استجار بنا في قوله تعالى: (وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأَجِرْهُ حتى يسمع كلام الله ثمَّ أبْلغْهُ مأمنه), فكيف بالمسلم الذي يستجير بنا ويأوي إلى ديارنا فراراً من عدوٍ كافرٍ (نصراني أو يهودي أو صربي أو هندوسي)؟

وهل إذا أراد مسلم من أي بلد كان أن يستوطن في ديارنا هل يحق له ذلك أم لا؟

سؤال آخر:- إذا كان هناك طائر عملاق له جناحان كبيران جداً يطير بهما في الهواء حيث يشاء. ورِجلان قويتان تشبه أعمدة الفولاذ. وجسم ضخم يشبه جسد الديناصور. ورأس مهيب كرأس التنين ذو عينان تطلقان شرراً ووميضاً يكاد يعمي الأبصار. وفم يطلق حمماً كالبركان.

وهجم ذلك الطائر على بلاد المسلمين ينشر الرعب والفزع في قلوبهم, ويخرِّب ويدَمِّر في كل اتجاه.

فاجتمع أهل الحل والعقد من المسلمين لوضع خطة للقضاء على ذلك العدو اللعين؛ فكان هناك اختلاف في الرأي حول الجزء الذي يجب أن يركِّزوا الضربات ناحيته حتى يجْهِزوا عليه!

هل يبدأون بالأرجل التي يرتكز عليها إذا هبط إلى الأرض فيشِّلون حركته؟
أم بالجناحين حتى لا يستطيع الطيران والانتقال بسهولة من مكان إلى مكان؟
أم الرأس الرهيب الذي يبصر به ويتحكم من خلاله ببقية الأعضاء, وهو أداة التدمير؟
وهل يرسلون له مجموعة من المقاتلين الأشداء فيهاجمونه في وكره بياتاً وهو نائمٌ: فإما أن يقضوا عليه, وإما أن يُنْهِكوا قوته قبل أن يصبِّحهم بالهجوم عليهم في عقر دارهم, فيفقدهم السيطرة على الوضع تماماً, ويوقع فيهم الخسائر الجسيمة قبل أن يتمكنوا منه – إنْ استطاعوا-؟
وهل تجدون شبهاً بين ذلك الطائر وأعدائنا في عالم الواقع؟
ومَن الرأس؟ ومن الجناحان؟ ومن الرِجلان؟
- وهل الإسلام دين السلبية وردود الأفعال فقط, فيقيد أتباعه بحيث يرون عدوهم يعِدُّ لهم العدة ويخطط لغزو بلادهم علانيةً ويقفون مكتوفي الأيدي ينتظرون دون أن يتحركوا لدرء الهجوم وقتل العدوان في مهده؟!
- أم أنه دين الحركية والأفعال, فيوجب عليهم إعلان الحرب على من بدأهم وينوي غزو بلادهم؟

إن صيانة الضرورات الإنسانية: الدين والنفس والمال والعرض, لكل مسلم واجبٌ على الأمة مجتمعة, فإن لم يستطع فرد من الأفراد أو دولة من الدول أن تصون هذه الضرورات: إما لضعفٍ منهم, أو خذلان وتفاعس, وجب على الأفراد الآخرين والدول الأخرى المجاورة لهم نصرتهم والدفاع عنهم, فإن لم يستطيعوا تتسع الدائرة لمن حولهم حتى تشمل كل مسلم وكل دولة, ولاشك أن نصرهم لا يتأتى إلا بالقوة –أي بالجهاد-.
وإرهاب العدو حتى لا يجرؤ على الاعتداء على أراضي المسلمين وأرواحهم ومساجدهم وممتلكاتهم يحتاج للجهاد.
- ودفع العدو الصائل الذي يفسد ديننا ودنيانا في الداخل وله شوكة يحتاج للجهاد.
- والقضاء على البدع والمنكرات والمذاهب والمعتقدات الشاذة والمنحلَّة ذات الشوكة يحتاج للجهاد.
- ونصرة إخواننا المستضعفين والمضطهدين في البلدان الأخرى (شرقية كانت أم غربية) يحتاج للجهاد.
- ورفع الحواجز التي تحول بين وصول الدعوة الإسلامية بصورتها النقية إلى جميع أنحاء المعمورة, فمن شاء آمن وأمِنَ على نفسه وحرماته حتى لو لم يهاجر إلى بلاد المسلمين, ومن شاء من أهل الكتاب بقي على دينه ودفع الجزية للمسلمين إن كان يعيش تحت حمايتهم, ذلك يحتاج أيضاً للجهاد.

ولكن لأننا تركنا الجهاد وإعداد القوة فقد انحدرنا إلى قعر الحضارة الحديثة, وتداعت علينا جميع الأمم من كل حدب وصوب وملة وديانة تقتيلاً وأسراً وانتهاكاً للحرمات, وانطبق علينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما ترك قوم الجهاد إلا ذَلُّوا). وقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر, وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) –أي إلى الجهاد-.

بل إن ترك الجهاد الآن وقد صار فرض عين على كل مسلم ومسلمة: إما بنفسه, أو بماله, أو بقلمه, أو بقلبه, أو بالنصح, أو بتكثير السواد, أو بكل ذلك جميعاً, تركه يؤدي إلى فساد الدين والدنيا, كما نراه الآن في كل بلاد المسلمين!!

ولعمر الله إن لم يكن الجهاد الآن فرض عين وقد دخل العدو بيوتنا وحجرات نومنا, وانتهك حرماتنا وأعراضنا, إن لم يكن فرض عين فمتى سيكون؟!

فهل هناك بلد للمسلمين إلا وهو يئن بجراحاته بيد عملاء الداخل أو العدو الخارجي؟!

ووصل الأمر إلى تدخل الكفار في جميع شئون حياتنا حتى مناهجنا الدراسية وبرامجنا الثقافية, بل ودعوتنا الإسلامية ذاتها: ما الذي يسمح بتلقينه لطلاب العلم والمسلمين من الآيات والأحاديث وأبواب الفقه, وما لا يسمح به! ومن هم العلماء والخطباء الذين يسمح لهم بممارسة ذلك, ومن الذي يحتاج إلى إعادة التأهيل وغسل الأفكار المعادية للغرب من رأسه؟!

وذلك بناءً على التصنيف الجديد الذي صاغه عدو الله رئيس أمريكا: "الذي ليس معنا فهو علينا" أي معادٍ للإنسانية والعالم المتحضر والقيم الديمقراطية –كما يدَّعي عدو الله-.

يقول صلى الله عليه وسلم: (من مات ولم يغز ولم يحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبةٍ من نفاق), ويقول صلى الله عليه وسلم: (من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه).

فكثير من الناس يفهمون قضية النية في الغزو فهماً خاطئاً, بحيث تكون مثل الخاطرة التي تمر على باله أو ذاكرته ثم تذهب دون أن ترتبط بأي نوع من العمل.

وأنه إن سأل الله الشهادة بصدق وهو قاعد لم يتخذ أي خطوة عملية لإثبات صدقه فسوف يبلِّغه الله منازل الشهداء.

إن النية الصادقة يعقبها العمل والسعي للتطبيق حيث يقول الله تعالى: (ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عُدَّةً ولكن كره الله انبعاثهم فثبَّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين).

فإن حال حائل قدري بين الإنسان والقيام بذلك العمل فقد أدى ما عليه, وسيؤجر على نيته, كما قال تعالى: (ليس على الضعفآء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله, ما على المحسنين من سبيلٍ والله غفور رحيمٌ * ولا

على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قُلْتَ لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الـدَّمع حزناً ألَّا يجدوا ما ينفقون * إنَّما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء, رضوا بأن يكونوا مع الخوالِفِ وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون)

فعلامة صدق النية في الغزو والجهـاد سـلوك طريـق هجـرة مـا نهـى اللـه عنـه, والتخفف مـن متـاع الـدنيا وأوهاقهـا, والشـروع فـي الإعـداد البـدني والتـدريب العسـكري استعداداً للانطلاق في أي لحظة لخوض غمار المعارك.

إن العقبة الكأداء في مسيرة الأمة الإسلامية للرجوع إلى دينها تكمن في افتقـاد القيادة الرَّبانية التي تتقدم الصفوف وتعطي النموذج العملـى للأمـة فـي التضـحية بـالنفس والمال والوظيفة وكل متاع الدنيا, وتنفر لتفقه في دين الله, خفافـاً وثقـالاً, وتعـايش آيـات الجهاد والرباط واقعياً وليس كتابياً, وتغبِّـر الأقـدام وتستنشـق الغبـار فـي سـبيل اللـه, ولا تخشى في اللـه لومـة لائـم, ولا تـأبه بالـدعايات الصـليبية المغرضـة, ليقتـدي بهـا الشـباب والرجال وعامة الأمة.

نريد أن نرى العلماء في ميادين التدريب البدني والعسـكري والخطـوط الأولـي, يشِّـتون المجاهـدين بـأقوالهم وأفعـالهم, ويتقـدمون الجمـاهير فـي مسـيرتها لمواجهـة الأنظمـة الطاغوتية التي تتحكم في رقاب المسلمين, وتعبِّدهم للـه مهمـا كـانت العـواقب؛ لأن ذلـك فقط هو دليل الصدق ومفتاح النصر.

بل إن الجهاد والصدع بكلمة الحق علامة الإيمان فمن تركه كان دليلاً على خلو قلبه مـن الإيمان, لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبيٍ بعثه الله في أمةٍ قبلي إلا كـان مـن أمتـه حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره, ثمَّ إنها تخلف من بعدهم خلـوفٌ يقولـون ما لا يفعلون, ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن. ومن جاهـدهم بلسـانه فهو مؤمنٌ. ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمنٌ؛ ليس وراء ذلك من الإيمـان حبـة خـردل) –رواه مسلم-.

لقد جربنا في العقود الماضية الحلول السلمية التفاوضية فهل أغنـت عنّـا شـــــــــيئاً أو أعـــــــــادت لنـــــــــا حقـــــــــاَ؟!

فعلى المستوى الداخلى: استجبنا لدعوات الحكومات في الانخراط فـي العمـل السياسـي والالتزام بقواعد اللعبة الديمقراطية وكونَّا الأحزاب السياسية وخضنا الانتخابات تلو الأخرى فهل حققنا شيئاً لحساب شعوبنا؟

لقد انتفشت كل الملل والنحل الباطلة والخارجة عن الإسـلام وسـرت فـي جسـد الأمـة الإسلامية كما يسري النار في الهشـيم, أو السـرطان فـي الـدَّم, وزادت الطـرق الصـوفية

والضآلة حتى صـار أغلـب المتـديِّنين يتبعونهـا؛ بينمـا انكمشـت نسـبة المسـلمين صـحيحي الاعتقاد حتى صاروا أقلية مهمشة لا قيمة لها ولا وزن.

أما على المستوى الخارجي فنتساءل: بماذا تفيد أغصان الزيتون التي في العالم كله لـو قطعناها ورفعناها شعاراً للمحبة والسلام في عالم ملئ بالذئاب واللئام؟

وهل أغنت عنا الأمم المتحدة ومجلس أمنها ومنظمات حقوق الإنسان شيئاً؟

إن استخدام الولايات المتحدة لحق النقض "الفيتو" في مجلس الأمن مرتيـن خلال أيـام قلائل من شهر أكتوبر عام 2003, لمنع صدور أي قرار بمنع الكيان الصهيوني في فلسطين من اتخـاذ أي إجـراء ضـد رئيـس السَّـلَطَة الفلسـطينية, أو إيقـاف الاسـتيلاء علـى أراضـي المسلمين وتدمير ممتلكاتهم بدعوى بناء الجدار العازل بينهم وبين الفلسطينيين, لهو دليـل على أن هذه الدولة الكافرة لا تقيم للعالم وزناً, ولا تأبه بـالرأي العـام العـالمي ولا الإجمـاع الدولي.

وأن كل القرارات السابقة واللاحقة التي تصدر عن مجلس الأمـن أو الجمعيـة العموميـة للأمم المتحدة لا تعادل مجموعة عمليات استشهادية ضد المصالح الأمريكيـة أو اليهوديـة أو مصالح أي دولة تحتـل بلاد المسـلمين أو تسـتعبدهم وتنتهـك حرمـاتهم ومقدسـاتهم؛ حيـث نضحي بثلة من المجاهدين الصابرين المحتسبين في كـل بلـد, فنكبـد العـدو خسـائر ماديـة بمليارات الدولارات فينهار اقتصـادياً -لأنـه علـى وشـك الانهيـار-, وآلاف القتلـى والجرحـي فينهار عسكرياً. ونكسر كبره وغطرسـته وغـروره وادعـاءه الألوهيـة, فيعـرف قـدر نفسـه ويرضى بالعيش في سلام مع العالم واحترام للآخرين.

فانفروا عباد الله خفافاً وثقالاً كما أمركم الله تفلحوا, "واعلموا أن الجنَّـة تحـت ظلال السـيوف" -متفـق عليـه-, ولا تتبعـوا الهـوى والأئمـة المضـلين, تفوزوا بالسعادة في الدنيا والآخرة .. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

<u>وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.</u>